المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

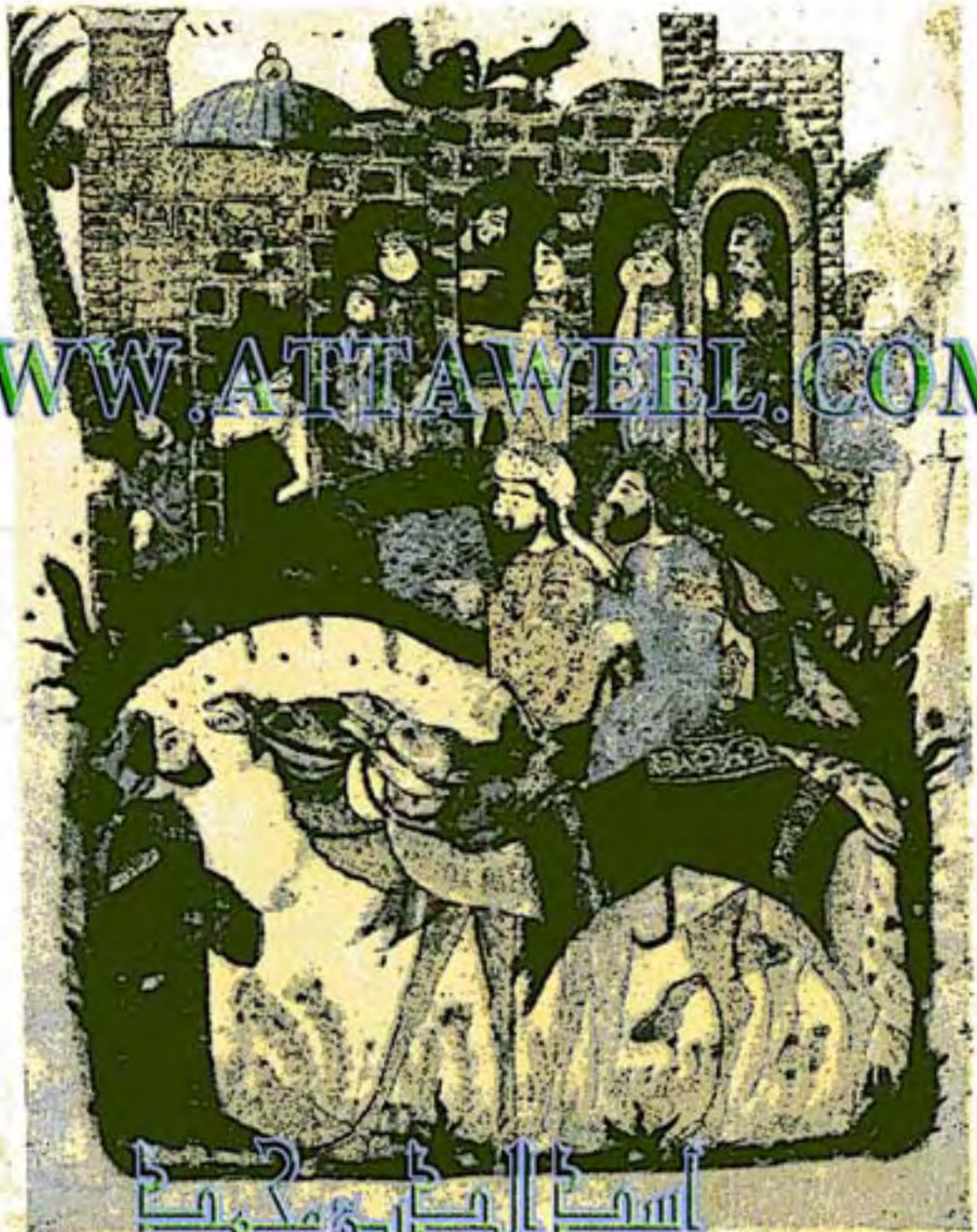

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الحلبة محمد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق
المجلد السابع والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م

يوم الفتح المبين

« فتح مكة » .

عبد القادر التحافي

العميد الركن

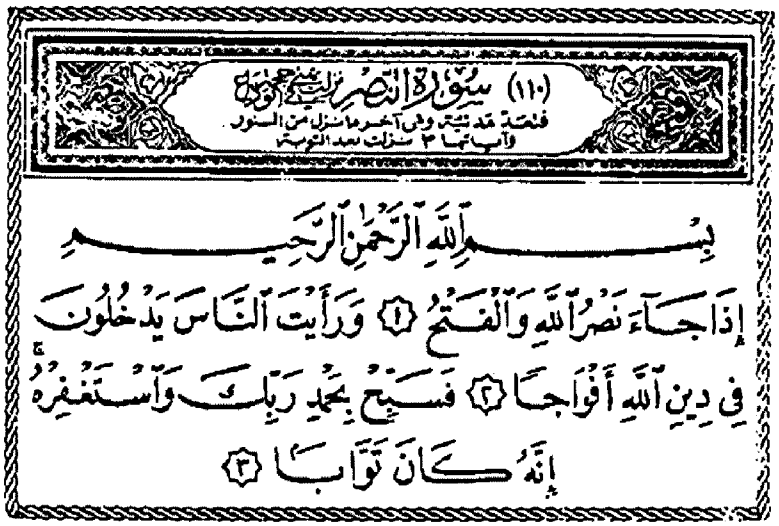

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، ذي القوة المتين ، والقول اليقين ● ... وكانَ حَقاً علينا نَصْرُ المؤمنين ● . والصلاة والسلام على نبينا محمدٍ سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ، وطوبى لجُندهِ الغُرِّ الميامين ،

أما بَعْدُ :

فإن أيام الإسلام (المعارك) الحاسمة في القرآن هي يوم الفرقان (معركة بدر) ويوم التقى الجمعان (معركة أحد) ويوم الأحزاب (معركة الخندق) ويوم الفتح المبين (فتح مكة) ويوم حُنين (معركة حنين) .

وهذه الاطروحة في التاريخ العسكري تختص بالفتح المبين ، او الفتح الأعظم أو الغزوة الحجون . والغرض منها بيان الإجراءات العسكرية المُتخذة منذ الأخذ بالانقلاب وسد طرق المدينة المنورة ، الداخلية والخارجية ، بالحرس والعيون والعَسَس لتعمية الاخبار عن قريش ، ثم الانطلاق بجند الله مسيراً من العقيق حتى دخول البيت العتيق بالنصر والفتح ، وقد أسميتها بـ(يوم الفتح المبين) ايقاناً وتبركاً بقوله تعالى ● « إنّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً » ● وابتغاء مرضاة الله عن هذا الطرح ورجاء رحمته الواسعة عند الإصابة ، والي أستغفره وأتوب اليه من الخطا غير المُتَعَمَّد إنْ حَصَلَ في هذه الاطروحة .

وانّ ما حصلت عليه من لُباب النقول مستمد من أربعة مصادر أصول ، هي : مغازي الواقدي والسيرة النبوية لابن هشام ومعجم ما استعجم للبكري ، والسيرة النبوية لاحمد زيني دحلان فلمؤلفيها الثناء الجميل ، أمّا بقية المراجع الحسنى المُمثلة في الحواشي (الهوامش) فلمؤلفيها الشكر الجزيل ، فلولاهم - الأوائل والأواخر - ما كانت هذه الدراسة لتصل الى عين الناظر بهذا الشكل القريب من المَآل بتصوري الضارب في الخيال - على الرغم من تناقض الروايات وتباين الاقوال - والكمال لله وحده ، الكبير المتعالي .

صدر الكلام

صلح الحديبية ، المنعقد في السنة السادسة الهجرية ، بين المسلمين وحلفائهم من جهة وقريش وحلفائها من جهة اخرى ، كان أمَدُهُ عشرَ سنين . وفي بواكير هذه المدة ، مدة الصلح ، شرع الرسول ﷺ بتحسين العلاقات بين المسلمين وقريش بخاصة ، وسائر القبائل العربية عامة . ومن مبادراته بالاحتواء المعنوي والاقتصادي العطوف في هذه البواكير مبادرة إنقاذ قريش من مجاعة كادت تلُم بها ، فقد أصاب مكة قحط نشكا أهلها الفاقة . وكانت قريش تشتري الحبوب من اليمامة الثرية بهذا المحصول . لكن لإسلام ولبس القبيلة (ثمامة بن أثال) من بني حنيفة فقد امتنع عن بيع وتسويق الحبوب الى قريش فتضوّروا جوعاً حتى ارسلوا الى النبي ﷺ ليقنع ثمامة ببيعهم الحبوب وتسويقها اليهم ، فقبل النبيّ الرؤوف الوساطة وأوعز باجراء صفقات البيع ، فضلاً عن أنّ الرسول ﷺ أرسل خمس مئة دينار ذهباً وطلب ان توزع على فقراء مكة . فلما بلغ الخبر أبا سفيان قال : يريد محمد مخادعة السكان لا سيّما الفتيان . واستمر الاحتواء النبيل (فبعث الرسول ﷺ بكميات من التمور الى مكة تُسلّم الى أبي سفيان مقايضة بالادم (الجلود المدبوغة) وكانت كاسدة بائرة آنذاك لانشغال الناس أيام القحط بالغذاء فقط ، ولا شيء يسد الحاجة مثل الحبوب والتمور طعام عامة الناس . حاول أبو سفيان رفض الصفقة غير أن الجياع اضطروه الى الانصياع . وكَمْ أحس الناس بالسعادة عندما علموا أنّ التمر الذي يأكلون أرسله محمد ﷺ والمسلمون[1]) كما أتاحت سنوات صلح الحديبية للمسلمين ان ينطلقوا بتقدم سَوْقي من مركز الدولة الاسلامية (المدينة المنورة) كافّة المسلمين وقاعدتهم الأمينة الى جميع الجهات المحيطة لتأمين المناطق المجاورة والمتاخمة من مناوئة ومسالمة ، مقاتلين الكفار المتقطرسين بفِلْطَةٍ مامور بها فيما بعد .

قال تعالى ﴿ يا أيها الذينَ آمنوا قاتِلوا الّذين يَلُونكم مِنَ الكُفّار وليَجِدوا فيكم غِلظَة[2] ﴾ . ﴿ علماً أنّ حال السلم كانت هي المقصد الأسنى ، اما حال الحرب فكانت الاستثناء لقوله تعالى ﴿ فإنْ انْتَهَوا فلا عُدْوانَ إلّا على الظالمين[3] ﴾ وقوله عَزّ مِنْ قائل ﴿ وإن جَنَحوا للسّلم فاجْنَح لها وَتَوكّلْ على الله[4] ﴾ . ﴿ وقد أفاؤا على المُسالمين بصدق العهود والتحالف الودود ورغّبوهم بدخول دين الواحد المعبود . وهكذا انداح نور الإسلام على هذا النظام يفتح العقول على الحق قبل فتح الطلول . وإبّان عقد الصلح وتأسُف المسلمين على رجوعهم من الحديبية دون عُمرةٍ فوريّة أنزل الله تعالى قوله ﴿ لَقَد صَدَقَ اللهُ رَسولَهُ الرؤيا بالحَقّ لتدخُلُنّ المسجدَ الحَرام إنْ شاءَ اللهُ آمنينَ مُحلقينَ رؤوسَكُمْ ومُقصّرين لا تخافون فَعَلِمَ ما لَمْ تَعلَموا فجَعَلَ مِنْ دونِ ذلك فَتحاً قريباً[5] ﴾ أي أنّ الله جل جلاله علم ما في صلح الحديبية من الخير والاصلاح ما لم تعلموا به أنتم في حينه فجعل دون دخولكم مكة هذا العام فتحاً قريباً . وكان هذا بشارة بفتح خيبر وتحجيم الخطر اليهودي في المنطقة والانداح والتوسع حول المدينة المنورة لمسافات بعيدة ، ومن ثَمّ فتح مكة المكرمة الفتح المبين .

نقض العهد والميثاق :

كانت الحرب قائمة في الجاهلية بين خزاعة وبني بكر بن عبد مناة بن كنانة حتى اقتتلتا عند انصاب الحرم . فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ وعهده ، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم . (واستمرت الحال على هذا المنوال الى ان مضى إثنان وعشرون شهراً من صلح الحديبية إعتَدَتْ عندها بنو بكر على خزاعة بهجوم مباغت بعد أن أعانتهم قريش بالسلاح والكراع (العُدّة) والرجال ونفّذوا ذلك سراً لئلا تحذر خزاعة ، وجعلوا ميعادهم عند ماء بارض خزاعة يدعى الوتير ، ووافوا للميعاد وفيهم من رجالات قريش المتنكرين المتنقبين صفوان بن أمية ومكرز بن حفص وحويطب بن عبد العُزّى وأجلبوا معهم أرقاءهم[6]) .

وكان رأس بني بكر نوفل بن معاوية الدئلي الديلي ، فَبَيّتوا خزاعة ليلاً وهم آمنون من عدوهم ولم يكونوا على حذر ولا عُدّة ، ولم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم الى الحرم في مذبحة فَوارة الدّم . (ولما انتهى أمر هذه المذبحة الى ابي سفيان قال : هذا والله أمر لم اشهده ولم أغِبْ عنه ، لا حُمِلَ هذا إلّا عَلَيّ . ولا والله ما شُورِتُ فيه ولا فوّيْتُ حيث بلغني ، والله ليغزونا محمد إن صدق ظني ، وهو صادقي ، وما لي بُدّ أنْ آتي محمداً فأكلمه أن يزيد في الهدنة ويجدد عهد الحديبية قبل أنْ يَنْلُغَهُ هذا الأمر . فقالت قريش : قد والله أصبتَ الرأي ! . وندمتْ قريش على ما صنعت من عون بني بكر على خزاعة وعرفوا أنّ رسول الله ﷺ لن يدعهم حتى يَغْزُوَهُمْ . فخرج ابو سفيان من مكة المكرمة الى المدينة المنورة

لعلّه في سعيه أن يفعل شيئاً في مصلحة قريش بايقاف الغزو أو تأجيله[٨]) .

الإستنصار :

رأت خزاعة ان توفد عمرو بن سالم الخزاعي في اربعين راكباً من خزاعة ، وقيل خرج بُدَيل بن ورقاء في نفر من خزاعة أيضاً ، يستنصرون رسول الله ﷺ ويخبرونه بما اصابهم وبعدد قتلاهم وما ظاهرت عليه قريش وما أعانت به من مستلزمات القتال ، فلما مَثُلَ رأس خزاعة عمرو بن سالم بين يدي الرسول ﷺ إستأذنه أن ينشد قصيدة امامه وهو في المسجد ،فأذن له الرسول ﷺ واستمع منه قوله[٩]) :

يـا رَبِّ إنّـي نـاشـدٌ محمّـداً
حلْـفَ أبينـا وأبيـه الاتلـدا
قـد كُنتـم وُلْـداً وكنـا والـدا
ثُمَّـتَ أسلمنـا ولـم ننـزعْ يـدا
فـانصـر هـداك الله نصـراً أعتـدا
وادْعُ عبـادَ الله يـأتـوا مَـدَداً
فيـهـم رسـول الله قـد تجـرّدا
إنْ سِيـم خسفـاً ، وجـهُـه تَـرَبَّـدا
فـي فيلـقٍ كـالبحـر يجـري مُـزْبِـدا
إنّ قـريشـاً أخلفـوك الموعـدا
ونقضـوا ميثـاقـك المُـؤكّـدا
وجـعلـوا لـي فـي كَـداءٍ رُصّـدا
وزعمـوا أنْ لسـتُ ادعـوا أحـدا
وهُـمْ أذَلُّ وأقـلُّ عَـدَداً
هـمْ بيتـونـا فـي الـوتيـر هُجّـدا
وقتلـونـا ، ركّـعـاً وسُجّـدا

(فقال رسول الله ﷺ : نُصرتَ يا عمرو بن سالم[١٠])

(ولما فرغ الركب من عرض سائر الحال وبيان الموقف والمآل ، والتماسهم رَدْعَ من نَقَضَ العهد وبَدأ القتال ، قال رسول الله ﷺ متسائلاً :

فَمَنْ تُهْمتكُمْ وظنّتكُم ؟

قالوا : بنو بكر .

قال : كلُّها ؟

قالوا : لا ، ولكن تُهمتُنا بنو نفاثة قَصرةً (فقط) . ورأس القوم نوفل بن معاوية النُّفاثي .

قال : هذا بطن من بني بكر .

ثُم قال ﷺ : وانا باعث الى أهل مكة فسائلهم عن هذا الأمر ومُخيرهُم في خصال ، ولا نُصرتُ إن لم أنصر بني كعب[١٠]) .

المفاوضات :

بعث رسول الله ﷺ ضَمرة بن سعيد الى قريش يُخيرهُمْ بين احدى ثلاث خصال بين أن يدفعوا دية قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلاً ، أو يبرأوا من حلف نفاثة ناقضي العهد ، أو ينبذ إليهم على سواء. (إلغاء العهد علناً) فخلصت قريش نجياً وردّت بتحبيذها الخصلة الثالثة وهي النبذ على سواء . فرجع ضمرة مبعوث الرسول ﷺ الى المدينة المنورة بإجابة قريش المتضمنة إلغاء العهد . غير أن قُريشاً ندمت على ما فرطت من رَدّ ضمرة بن سعيد بِرَدٍ غير سديد وطفقت تناور وتماطل عسى أن تجد حَلّاً في مصلحتها حتى قَرّ رأيها على ان تبعث أبا سفيان بن حرب تسأل رسول الله ﷺ أن يجدد العهد ويزيد في المدة . وهذا ما توقعه رسول الله ﷺ حيث قال لاصحابه : لكانكم بابي سفيان قد جاء يقول : « جدد العهدَ وزد بالهدنة » وهو راجع بسخطه .

فقدم أبو سفيان المدينة قاصداً النبّي ﷺ فدخل عليه فقال : إني كنت غائباً عن صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة .

قال رسول الله ﷺ : هل كان قِبلَكم حَدَث ؟

قال ابو سفيان : معاذ الله .

قال رسول الله ﷺ : فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نُغيّر ولا نُبدل . فمكث ابو سفيان في المدينة أياماً يريد حلّا وطالت غيبته ، ثم ركب راحلته وانطلق راجعاً الى مكة . فلما وصلها قالت له قريش : ما وراءك ، هل جئتنا بكتاب من محمد ؟ وزيادة في مدة ؟ فما نأمن أن يغزونا . فقال ابو سفيان : والله لقد أبى عَلَيّ ، ولقد كلّمت عليه أصحابه فما قدرت على شيء منهم[١١])

وصف الأرض :

يحتاج الباحث في التاريخ العسكري من أجل ترصين موضوع بحثه الى ثلاثية مُتراصة الحلقات ، الحلقة الأولى مجالها العلم العسكري وفن الحرب ومتغيراتهما ، والحلقة الثانية المعلومات الجغرافية الخاصة بالظواهر الطبيعية لسطح الارض باشكاله وانواعه وابعاده الثلاثة ، الطول والعرض والارتفاع ، والحلقة الثالثة حلقة الزمن بمفهومه ومعناه وتأثيره في الحوادث ، والوقت وعلاقته بالإنجازات وبالمسافات ، فالمسافة لا تقاس

بالاكيال فحسب بل بالوقت المصروف لقطعها أيضاً .

والأرض التي نحن بصدد الحديث عنها في هذا السياق هي المدينة ومكة والطريق بينهما . (فالمدينة المنورة واحات خصبة تقع في سهل فسيح تحيط به الحرّات من جهاتها الأربع . والحَرّة ارض ذات حجارة سود نخرات صلبة غليظة صعبة الإجتياز ، وأهمها حرّةُ واقم منَ الشرق ، وحرّة الوبرة من الغرب . وينتصب جبل أحد شمال المدينة ويستقر جنوبها جبل عير . ويطلق على الجزء المرتفع في الجنوب الغربي العوالي أو العالية وعلى الجزء الشمالي السافلة . وفي المدينة أودية متفرعة أهمها وادي العقيق ووادي بطحان ورنوناء ووادي قناة ، وعلى أجفّتِها مسالك المارة وطرق التنقل الداخلية[١١]) (انظر المخطط رقم (١) . وسُقْنا هذا لبيان إمكان السيطرة على الأنقاب وهي مداخل ومخارج طرق القوافل من المدينة واليها وبهذه السيطرة يتحدد انتشار الاخبار حفاظاً على الأمن بإشغال قلّة من الحرس والعيون والعسس كنقاط تفتيش وسيطرة .

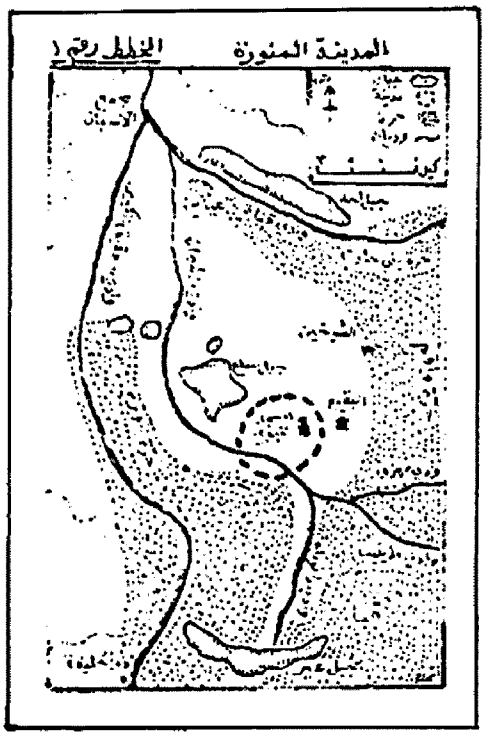

مخطط رقم (١) المدينة المنورة

أما مكة المكرمة فتقع في وادي ابراهيم ، (وهي محاطة بمرتفعات داكنة وعرة مسيطرة على حوض الوادي ، يبلغ ارتفاعها ما يزيد عن الف قدم فوق مستوى الأرض المحيطة بها . وبين هذه المرتفعات اربعة محاور يسلكها القادمون الى مكة والمغادرون . ودورها تحيط بالحرم الشريف فتشكل مركز البلدة وتتسع اطرافها لتشمل بطحاء الوادي وسفوح المرتفعات وقد بُنيت من الطين[١٢]) (انظر المخطط رقم ٢) .

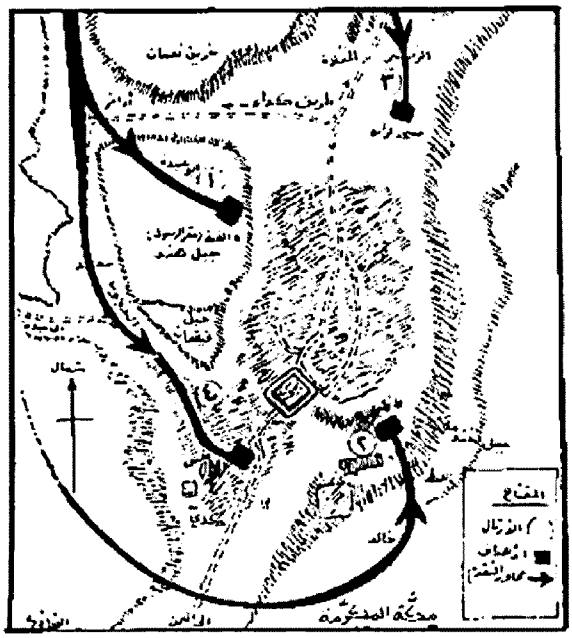

مخطط رقم (٢) الفتح المبين

ومن ينعم النظر في معجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان للحَموي ولسان العرب لابن منظور والروض المعطار للحميري فضلًا عن كتب السيرة النبوية يجد تحت مادتَيْ كُدْى وكَداء من الخلاف والاضطراب ما يحجب عن الباحث الصواب . ولعل الحصيلة المقبولة المتفقة مع سير عملية الفتح هي ان نقول : إن الكُدية هي الأرض الغليظة الصلبة المرتفعة وتُجمع على كُدى وما اكثرها في منطقة مكة ومن هذه الكثرة جاء الاضطراب والخلط .

أما كداء فجبل بأعلى مكة وهو غرفة بعينها . والطريق من عرفة الى اذاخر يدعى طريق كداء . دخل الرسول ﷺ يوم الفتح من نهايته الغربية جهة أذاخر . ونزل الزبير الى بدايته ، وهي العقبة

مخطط رقم (٣) تفاصيل شتى

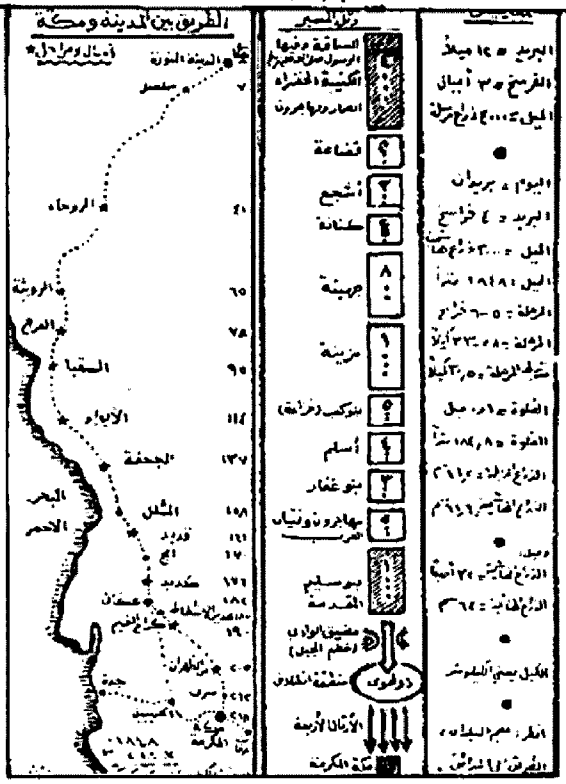

الصفرى ، مُنصباً من ذي طُوًى اليها من الجهة الشمالية الغربية عند مقبرة الفُعْلة أو الفُعْلى او المُنْعَطف (الحجون الشمالي) .

وأمّا كُدًى (بضم الكاف وتنوين الدال) فجنوب غرب مكة عند جبل قعيقعان عند المُنعطف (الحجون الجنوبي) - وكلّ عطفة وثنية فهي حجون ولهذا يضطربون - . وأمّا كُدَيّ (بالتصغير ، ضم ففتح فتشديد) فاسفل مكة لمن خرج منها الى اليمن . ومن مستلزمات الغزوة الحجون ، (وهي الغزوة التي تُظهر غيرها ثم تُخالف إلى غير ذلك الموضع ويُقصد اليها ، وهي البعيدة[١٥]) والطويلة المدى الواسعة النطاق ، أن يُشار الى الطريق التي سلكها الفيلق الإسلامي في اثناء تنقله ومسيره المرهق . لقد تفاوتت تقديرات الجغرافيين والرواة القدامى في تحديد المسافات بين المدن والقرى وأم القُرى ومعالم الطريق الاخرى وعند المراحل بينها ، فضلاً عن انهم يقيسون المسافات تارة بالاميال وتارة بالايام والليالي ، وربما قدروها بالمراحل والمنازل ، وأحياناً بالبُرُد (جمع بريد) او بالفراسخ وهكذا دواليك . والميل عند اللغويين يعادل مَد البصر في البادية ويرى آخرون أن الميل يعادل أربع مئة ذراع مُرسلة . ومنهم من يقيس بالذراع الشرعية ومنهم من يقيس بالذراع الهاشمية وربما قاسوا بذراع الملك أو ذراع المساحة . ومن اجل الوصول الى قياس مقبول لتحديد المسافات بين معالم الطريق جرى الاعتماد أساساً على (ياقوت الحموي والبكري واحمد كمال[١٦]) . والرجوع الى كتب السيرة النبوية احياناً لسد الفراغ وإحكام النهايات والمفاصل السالبة . (انظر المخطط رقم ٣) . تبدأ الطريق من المدينة المنورة الى مكة المكرمة قُصداً (مباشرة) من العقيق وتنتهي في البيت العتيق . طولها نحو أربع مئة كيل . فاذا فَصَلت القافلة من العقيق وتعقبناها بقدر العلاقة معالماً ومسافاتٍ ذات أميال تراثية كما في المصادر لوجدناها (تحط الرحال بعد سبعة اميال في صُلْصُل فالروحاء (٤١) فالرويثة (٦٥) فالعَرْج (٧٨) فالسُقيا (٩٥) فالأبواء (١١٤) فالجحفة (١٣٧) فالمشلل (١٥٨) فقَديد (١٦١) فامج (١٧٠) فكَديد (١٧٦)فعُسفان (١٨٢) فقديد الأشطاط (١٨٥) فكُراع النَميم (١٩٠) فمَرُ الظهران (٢٠٥) وفيها خطم الجبل والاراك فمفرق سَرِف (٢١٢) فذي طوىً على مشارف مكة ، فمكة المكرمة (٢١٨)[١١]) ميلاً تراثياً ويعادل (١٨٤٨ متراً) إذن

(٢١٨) × (١٨٤٨) = ٤٠٢,٨٦٤ كيلاً معاصراً وهذا رقم يقترب من الحقيقة . وطريق الفتح هذه هي غير الطريق التي سلكها البدريون الى موقعة بدر ، (فطريق بدر تنحرف عن هذه الطريق الموصوفة ثم تعود اليها وتزيد عنها زهاء مئة كيل . وبما أنّ الطريق البدرية طولها (٤٩٦) كيلاً[١٧]) فطريق الفتح نحو (٤٠٠) كيل وكفى . وتقطع المسافة بين المدينة المنورة ومكة المكرمة بوسائط التنقل آنذاك باحد عشر يوماً أو باثني عشر يوماً ، ويقطعها نو السَير الحثيث المستعجل بنصف هذه المدة (وقد قطعها فتيان خزاعة باربعة ايام عندما قدموا المدينة لاخبار الرسول ﷺ بتجمع قريش والاحزاب لمحاربته يوم الاحزاب[١٨]) .

الإستحضارات :

لمّا وَلّى ابو سفيان راجعاً بخفيته الى مكة (قال النبي ﷺ لعائشة : « جَهِّزينا وأخْفي أمرك » . والمراد بالتجهيز تهيئة الزاد أصلاً وكان آنذاك قمحاً سويقاً ودقيقاً وتمراً غالباً . ودعا النبي ﷺ ربّه قائلاً : اللّهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها[١٩]) أو كما قال : ودخل ابو بكر الصديق دار

الرسول ﷺ فوجد عائشة تجهز الزاد فسألها عن السبب فقالت لا أدري ، وعندها دخل الرسول ﷺ الدار فقال ابو بكر : أفَاتَجَهَّزُ ؟ أفَازِنْتَ سَفَراً يا رسول الله ؟ قال الرسول ﷺ : نعم . قال ابو بكر : وأين تريد يا رسول الله ؟ قال النبي ﷺ : قريشاً . وأُخْفِ ذلك يا أبا بكر . إنهم غدروا ونقضوا العهد فأنا غازيهم .

(وأخذ الرسول ﷺ بالانتقاب وأوكل بالطواف عليها عمر بن الخطاب وتوجيه الحرس والعيون والعسس وتوصية المراقبين والارصاد بما يجب عليهم فعله ومراقبته ، أي وقف على كل طريق جماعة (نقاط سيطرة وتفتيش) ليعرف من يمر بها ، وشدَّد عليهم ألّا يدعوا أحداً يمرُّ بهم يذكرونه إلّا زدوه وبخاصة من سلك الى مكة فَيُتَحَفَّظ به ويُسأل عنه[٢٠]) .

وعمد رسول الله ﷺ الى تضليل قريش والتمويه عليها وخدعها بتحويل أنظارها وأنظار عيونها (جواسيسها) عما ينتظرها من غزوة حجون فبعث ثلاث سرايا باتجاهات غير جهة مكة (كانت السرية الاولى التي بعثها الرسول ﷺ هي سرية الخبَط ابي عبيدة بن الجراح وتعدادها ثلاث مئة مقاتل من المهاجرين والانصار وفيهم عمر بن الخطاب ، وذلك في رجب سنة ثمان هجرية بعد نكث قريش العهد[٢١] (ووجّهها الى حي من جُهَيْنة في القبليّة مما يلي الساحل (سيف البحر) والمسافة بينها وبين المدينة خمس ليال ، ومكثت ثلاثة أشهر في جهد جهيد[٢٢] . (وكانت السرية الثانيةُ سريّةَ خَضِرة ، وخضرة ناحية بنجد على سبعة فراسخ من بستان ابن عامر ، بقيادة ابي قتادة بن ربعي الأنصاري وتعدادها خمسة عشر رجلًا للإغارة على غطفان بارض محارب وذلك في شعبان سنة ثمان هجرية فغابت خمسة عشر يوماً وعادت سالمة غانمة[٢٣])

(وكانت السرية الثالثة سرية إضم بقيادة ابي قتادة ايضاً وتعدادها ثمانية أنفار وذلك في اوائل شهر رمضان سنة ثمان هجرية قبل الغزوة الحجون بأيام قلائل وجّهها الرسول ﷺ الى بطن إضم على مسافة ثلاثة بُرُدٍ من المدينة ، أي إثنا عشر فرسخاً ، وكان بعض ما يرجى منها لِيُظَنَّ ظنّ أن رسول الله ﷺ توجه الى تلك الناحية ، ولأن تذهب الاخبار المُضلِّلة الى قريش فلا تستعد للمواجهة الفعلية المقتدرة فيدخل عليهم الفيلق الاسلامي على حين غفلة ومن شأن هذه السرية انها وصلت في عودتها الى (ذي خشب) على ليلة عن المدينة فبلغها ان رسول الله ﷺ قد توجه نحو مكة فأخذوا ناحية الطريق حتى لحقوا به في (السُّقيا)[٢٤])

وكثرت الظنون ، والظن لا يغني من الحق شيئاً ، عندما أستنفر الرسول ﷺ أهل البادية ومن حوله من المسلمين للتجمع في المدينة . فظنَّ يظنُّ أن الرسول ﷺ يريد الشام ، وثانٍ يظن أنه يريد ثقيفاً ، وثالث يظن انه يريد هوازن ، ورابع أهل نجدٍ . وسأصرف وجه الحديث الى امرٍ نكرٍ حدث في وقت الانشغال بالاستحضارات وذلك أن احد البدريين ، (وهو حاطب بن ابي بلتعة ثَبَّتَ بفراسته ان النبي ﷺ سيغزو قريشاً ، فكتب كتاباً وارسله الى اهل مكة يخبرهم بمسير الرسول ﷺ اليهم[٢٥]) وارسله مع أمرأة وأوصاها أن تتجنب طريق الخروج من المدينة الى مكة فان عليها حراساً . فخرجت المرأة متلصِّصة تريد مكة . فاطلع الله نبيَّه على ذلك (فبعث علياً والزبير او المقداد[٢٦]) في أثرها فادركوها بالخليفة وأجبروها على تسليم الكتاب اليهم فامتثلت مرغمة ودفعت الكتاب اليهم ليعودوا به الى الرسول ﷺ فتسلم الرسول ﷺ الكتاب وكان مما جاء فيه : (من حاطب بن ابي بلتعة الى سهيل بن عمرو وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن أمية . اما بعد يا معشر قريش فانَّ رسولَ الله ﷺ جاءكم بجيش عظيم يسير كالسيل ، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله وأنجز له وعده ، فانظروا لانفسكم والسلام . وفي رواية اخرى أنّ لفظه ينص على ان رسول الله ﷺ أذنَّ في الناس بالغزو ولا أراه يريد غيركم وقد أحببْتُ أنْ تكون لي عندكم يَدٌ[٢٧])

(فدعا رسول الله ﷺ حاطباً ، فقال : يا حاطب ، ما حَمَلَك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله أما والله أني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غَيَّرْتُ ولا بَدَّلْتُ ، ولكني كنت أمرأ ليس لي في القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أولاد وأهل ، فصانعتهم عليهم فعفا عنه النبي ﷺ قائلًا : ... ، لعلَّ الله قد أطّلعَ الى أصحاب بدر يوم بدر فقال : إعملوا ما شئتم ، فقد غفرتُ لكم[٢٨]) فانزل الله تعالى في حاطب « يا أيها الّذينَ آمنُوا لا تَتَّخذوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ اولياء تُلْقُون إلَيْهِم بالمَوَدَّةِ ... »[٢٩]

الذكرة والحشد :

عَوْدٌ الى تدابير الرسول ﷺ الأخرى شيءٌ لِزامٌ للإطلاع على ما قرره من القيام بحركة جهادية معماة الإتجاه المقصود ومسرَّبة الهدف المنشود . لقد كان قراره محاربة أهل مكة في دارهم .. اليوم نغزوهم ولا يغزونا وننتصر لخزاعة ، فارسل الى أهل البادية والى من حوله من المسلمين يستنفرهم ويقول لهم مبعوثه على لسانه « من كان يؤمن بالله واليوم الآخِر فَلْيَحْضر رمضان في المدينة » . فقدم المدينة على رسول الله ﷺ قبائل أسلم ، وغفار ، ومزينة ، وجهينة ، وأشجع وبعض بني كعب ، والتحق آخرون إبانَ التنقل على الطريق ، منهم سُلَيْم ، وبنو أسد وبقية بني كعب ، وسائر غفار حتى اكتمل الحشد في قديد . فصار تعداد جيش الفتح والغزوة الحجون عشرة آلاف يتوزعون على الانصار والمهاجرين والقبائل العربية المذكورة غالبيتها آنفاً . وقوامه

التفصيلي يتكون من سبع مئة من المهاجرين ومعهم من الخيل ثلاث مئة فرس . ومن أربعة آلاف من الانصار ومعهم من الخيل خمس مئة فرس . وكانت مُزَيْنَة ألفاً واحداً وفيها من الخيل مئة فرس ولفرسانها مئة درع (وكانت أسلم اربع مئة وفيها ثلاثون فرساً . وكانت جُهَيْنَة ثمان مئة ومعها من الخيل خمسون فرساً . وكانت بنو كعب بن عمرو خمس مئة[٣٠]) (وكانت سليم نحو ألف مقاتل[٣١]) وفي سائر القبائل عَدَدٌ وإسلام . وهذا هو الفيلق الإسلامي الاول الذي ذكره عمرو بن سالم في شعره بحضرة النبي ﷺ كما أسلفنا :

فيهم رَسُولُ الله قَدْ تَجَرَّدا
في فيلقٍ كالبحرِ يَجْري مُزْبِدا

إن هذا العدد الضخم يدل على تعاظم قوة المسلمين في مدة يسيرة جداً محددة بين صلح الحديبية ، (وكانت ألفاً واربع مئة مقاتل ، والتقدم لفتح مكة وقد بلغ الفيلق عشرة آلاف خلال سنتين . وفي رواية بلغ اثني عشر الف مقاتل[٣٢])

مسير الاقتراب :

(نَفَرَ رسولُ الله ﷺ بفيلق الإسلام المتحشد في ساحة بئر أبي عِنَبَة على ميل واحد من المدينة المنورة بعد عصر يوم الاربعاء لعشر ليال خلَوْنَ من رمضان سنة ثمان هجرية الموافق لليوم الاول من كانون الثاني سنة ثلاثين وستة مئة ميلادية بعد أن استخلف أبارهم كلثوم بن حصين الغفاري فيها ، وبعد أن أوعز الى مناديه ينادي : من أحبَّ أنْ يَصوم فَلْيَصُمْ ومن أحب أنْ يُفْطِرَ فَلْيُفْطِر ! . وصام رسول الله ﷺ وصام المسلمون أسْوَةً به وتلك الرخصة بالفطر جاءت من اجل ان يَتَقَوَّوا على مقاتلة العدو ، حيث قال لهم الرسول ﷺ : إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم[٣٣])

لم يَتَوانَ الفيلق في مسيره ولكنه من أجل التكامل وإزالة المعوقات قطع مرحلة إبتدائية قصيرة مسافتها سبعة أميال عن المدينة إنتهت عند صُلْصُل فَحَلَّ فيها (إتَّخَذَها ماوىً ليلياً) ، ثم فَصَلَ المسلمون منها فجراً يقتادون خيولهم ويمتطون الإبل (يعني انهم يعيدون عن العدو نسبياً) ومع هذا فقد (احتاط الرسول ﷺ للأمر فأفرز طليعة أمامه في مئتين من المسلمين بقيادة الزبير بن العوام[٣٤]) .

ولما ترك الرسول ﷺ الفرَجَ أفرز جَريدة من خيل (طليعة) للاستطلاع وترصد عيون الأعداء ، ونستدل من هذا أنَّ الطلائع تستبدل في المراحل لتجديد نشاطها ، (فلما كانت هذه الطليعة بين الفرَج والطُّلوب أمسكت عيناً (جاسوساً) لهوازن فاقتادته الى رسول الله ﷺ فاعترف بمهمته وادلى بأن هوازن تتحشد بكل طاقاتها لمواجهة المسلمين لو قصدوها ، وقد ارسلته عيناً ليتعقب المسيرة حتى اذا غُيِّر المسلمون إتجاههم عَبْرَ مسلك بطن شرف فلا شك انهم يقصدون هوازن ، فواجبه الاسراع بانذار قومه[٣٥])

لقد كان مسير الاقتراب هذا سَوْقياً لسُمُوّ الغاية وضخامة عَدد الجند وبعد الشُّقَّة فقد قطع فيه جند الله أربع مئة كيل أو زد عليها قليلاً من منطقة التحشد الخلفية (بئر أبي عِنَبَة) الى منطقة التحشد الامامية (مَرّ الظَّهران) فمكة المكرمة (بدلالة عمر بن الخطاب الوازع (مُنظم السير) الرادع الذي عَيَّنه الرسول ﷺ لضبط النظام . وقد سلك بالفيلق دروباً غير مطروقة أحياناً ، ونَهَى القطعات عن إصدار الأصوات العالية ، وعن قرع الطبول وآلات الحدْ على الأسراع لئلا يلفتون الانتباه إليهم[٣٦]) ومن توجيهات الرسول ﷺ للقطعات المتقدمة لتولي المباغتة جُلُّ اهتمامها قوله : (لا تُصْحَب الملائكةُ رِفْقَةً فيها كَلْبٌ أوْ جَرَسٌ ، والجَرَسُ مِزْمارُ الشيطان[٣٧]) والرِّفْقَةُ فِعْلَةٌ حاطب وترَصد عين هوازن وما على الفرار المؤمنين بكتمان الاشاعات وفوضى الاخبار والحدّ من النجوى التي تثيرها الرفقة في الأسفار وتضييق مساحة انتقال القَوْلات إن صِدْقاً وانْ كَذِباً ورَدّها حال سماعها الى ذوي الأختصاص وخبراء الإستنباط الذين يجيدون التمحيص ويفرزون النفيس عن الرخيص ويرشدون الى كيفية التعامل معها لينهب الزيد جفاء ويمكث ما ينفع الغزوة في تحقيق غرضها . قال عَزَّ مِنْ قائل ﴿ وإذا جَاءَهُمْ أمرٌ مِنَ الأمْنِ أو الخوفِ أذاعُوا بهِ وَلَوْرَدُّوهُ الى الرَّسولِ وإلى أُولي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذينَ يَستَنبطونَهُ مِنْهُمْ ﴾[٣٨] ﴿

(وأبقى الرسول ﷺ غاية الغزوة وغرضها خافيين على الجميع إلّا قلّة مسؤولة أصلاً (قادة وهيئة ركن) بعدد أصابع اليدين[٣٩])

حاول كعب بن مالك ، وهو من هو إيماناً ورئاسة ووجاهة في قومه ، أن يطلعه الرسول ﷺ على القصد من هذا المسير فأنشد أمامه في العرج قصيدة فيها من الرجاء والاستفهام ما ينبيء عن تَطلُّعه الى معرفة الهدف المنشود فقال في بعضها :

قَضينا مِنْ تِهامةَ كُلَّ زَيْبٍ
وخَيْبَر ، ثم أجْمَمْنا السُّيوفا
نُسائِلُها ، ولَوْ نَطَقَتْ لقالَتْ
قَواطِعُهُنَّ : دَوْساً أوْ ثَقيفا

فتبسم الرسول ﷺ ، ولم يزد على ذلك فجعل الناس يقولون له : والله ما بَيَّنَ الرسول ﷺ لك شيئاً ، ما ندري يبدأ بقريش او ثقيف او هوازن . وهذا عُيَيْنَه بن حصن يدرك الرسول ﷺ في العرج

أيضاً فيقول : يا رسول الله ، بلغني خروجك ولم أشعر به فاقبلت سريعاً ... ولست أرى هيئة حرب ولا أرى ألوية أو رايات ! أفالعمرة تريد ؟ فلا أرى هيئة الإحرام فاين وجهك يا رسول الله ؟ قال النبي ﷺ . حيث يشاء الله .

(ووافى الاقرع بن حابس في عشرة من قومه رسول الله ﷺ في السُّقيا فسار هو وعيينة مع الرسول ﷺ فلما نزل قُديد وعقد الالوية سأل عيينة أبا بكر : أين يريد محمد يا أبا بكر؟ قال الصديق أبو بكر : حيث يشاء الله[١٠]) وممن التحق بالرسول ﷺ وهو على الطريق وفي مراحله ، العباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وعبد الله بن أُميَّة بن المغيرة فاسلموا .

ولمّا وصل جند الله الى قُدَيْد ، وهو موضع بين الجُحْفَة وعُسفان وهو أقرب الى مكة المكرمة منه الى المدينة المنورة ، (عقد رسول الله ﷺ الالوية والرايات لمنتسبي الفيلق الإسلامي وسلَّمها لحَمَلَتِها[١١]) أي اتَّخذ أسلوب التقدم الامين محتاطاً آخذاً حذره لاقترابه من أرض العدو واحتمال لقائه . وسار الفيلق الإسلامي من قديد بترتيب حسن إذ تقدمت سليم رتل المسير في أول تسلسلاته وأوكل إليها أمر المقدمة المدججة بالسلاح بعد أن كانت بقيادة خالد بن الوليد وربما كانت بقيادة غيره من قَبل كما أسلفنا حول استبدال الطلائع إلّا أنّ المصادر لم تسعف بتفاصيلها . (واستمر التقدم في أمان وسريَّة وكتمان حتى نزل الفيلق بمَرّ الظهران[١٢]) (منطقة تحشد أمامية) على بعد خمسة وعشرين كيلاً تقريباً من مكة . واكتمل التحشد عشاءً بعد أن بثّ الوازع ورئيس الحرس عمر بن الخطاب جهداً كبيراً في تدبير امورهم وترتيب تسلسلاتهم . ولم يبلغ قريشاً خبرٌ واحدٌ عن مسير الفيلق الاسلامي اليهم . وعندما حلّ الظلام ونُصبت الخيام سُمح للمسلمين ولاول مرة منذ بدء الحركة باشعال النيران وتكثيرها (فاوقدت عشرة آلاف شعلة نار)[١٣] أحالت الليل نهاراً وهزّلت الموقف على قريش ورؤسائهافاحبطت معنوياتهم وصار أمرهم فُرُطا ولم يتخلوا عن كبريائهم (فاجمعوا على إيفاد أبي سفيان صخر بن حرب يتحسس الاخبار من مصادرها الاصلية وقالوا له : إن لقيتَ مُحَمَّداً فخذلنا منه جواراً الّا إن ترى رقَّةً من أصحابه فأنّهُ بالحرب ، فخرج ابو سفيان وحكيم بن حزام وبُديل ابن ورقاء يستدبطون الحدث ويستطلعون مبلغ الخطر ويتنسمون جليَّة الخبر ، فلما وصلوا الاراك من مَرّ الظهران رأوا في ضوء النيران جند الرحمن بالسيوف وأسنة القُران وسمعوا صهيل الخيل ورغاء الإبل يخترق الاذان فافزعهم ذلك فزعاً شديداً [١٤])

إنَّ السياق يقتضي ربط قضية حاطب بن ابي بلتعة بقضية العباس بن عبد المطلب عمّ الرسول ﷺ بغية المقارنة بين الفعلتين . فالاول ـ مع ايمانه ـ كتب الى قريش بقوة المسلمين التي لا قِبَل لهم بها كما سبق . وهذا العباس ـ مع ايمانه ـ يروي لنا موقفه ورِقّة نفسه لانقاذ قريش من سيوف جند الله فيقول (رَقَّت نفسي لاهل مكة ، والله لئن دخلها رسول الله ﷺ عنوة قبل إن يأتوه فيستامنوه إنه لهلاك قريش الى آخر الدهر ، فجلست على بغلة رسول الله البيضاء في الليلة المُنارة حتى جئت الاراك لعلّي أجد بعض الحَطّابة أو صاحب لبن أو حاجة ، يأتي مكة ويخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل أن يدخل عليهم عنوة[١٥]) (فسمعت كلام ابي سفيان وبُديل بن ورقاء وهما يتراجعان ، فعرفت أبا سفيان من صوته فقلت : يا أبا حنظلة فعرف صوتي فقال : أبو الفضل ؟ فقلت : نعم يا أبا سفيان ، هذا رسول الله ﷺ في عشرة آلاف مسلم لا قِبَلَ لكم بهم ، واصباح قريش والله ! قال : فما الحيلة ؟ قلت : آتي بك الى رسول الله ﷺ فاستامنه لك . فركب خلفي فعرفه الحرس فاخبروا عمر به فقال عمر : ابو سفيان ، عَدُوّ الله ! الحمد لله الذي قد أمكن منك من غير عقد ولا عهد واشتد الى رسول الله ﷺ ليوافق على ضرب عنقه ، فسبقته اليه وقلت : يا رسول الله ، إني قد أجَرْتُهُ . فقال النبي ﷺ للعباس : إذهب به الليلة الى رحلك ..... ثم أسلَمَ ابو سفيان وشهد شهادة الحق وقصة إسلامه مشهورة[١٦])وقُبَيْله بسُوَيعةٍ أسْلَمَ صاحباه حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء . وفي رواية ان حكيم بن حزام قال مخاطباً الرسول الكريم ﷺ : يا رسول الله جئت باوباش الناس (أي اخلاطهم) مَن يُعْرَفْ ومَنْ لا يُعرَفْ الى اهلك وعشيرتك .... قد كنت يا رسول الله حقيقاً أن تجعل عُدَّتك وكَينك لهوازن فانهم أبعد رحماً وأشد لك عداوة . قال رسول الله ﷺ : إني لارجو من ربّي أن يجمع ذلك كله لي ، بفتح مكة وإعزاز الإسلام فيها (اسبقية أولى) وهزيمة هوازن وأن يُكْفِني الله أموالهم وذراريهم ، فالي راغب الى الله تعالى في ذلك[١٧])

(وفي رواية أخرى أن المقولة تلك كانت لابي سفيان[١٨]) وهذا القول يؤيد الفكرة القائلة بانّ الاخبار بصورة عامة كانت قد وصلت قريش وهوازن بتحرك المسلمين باتجاه مكة المكرمة غير أن الذي خَفِي عليهم هو قصد الغزوة وهدفها أهو قريش أم هوازن أم ثقيف ؟ ولهذا كانت هوازن على أهبة الاستعداد كما أفاد غيرُها الذي امسكت به الطليعة بين المرج والطلوب ... (ثم أردف أبو سفيان قائلاً : يا رسول الله ، أدع الناس بالامان ، أرأيتَ إن اعْتَزَلَتْ قريش فكفّت أيديها هآمنون هم ؟ قال الرسول ﷺ نعم . فقال العباس : يا رسول الله ، انك عرفت أبا سفيان وحبّه الشرف والفخر ، فاجعل له شيئاً[١٩]) (قال الرسول ﷺ : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن[٢٠])

فلما ذهب أبو سفيان ليتصرف قال رسول الله ﷺ : يا عباس إحبسهُ بمضيق الوادي عند خطم الجبل (منصة العرض / نقطة حرجة) حتى تمر به جنود الله فيراها . قال العباس فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادي حيث أمرني رسول الله ﷺ أن أحبسه .

العرض :

مَرّت القبائل والمهاجرون والأنصار برتل مسير منتظم حسب تسلسلاتها وأعدادها الآتية : (انظر المخطط رقم (٣)

(بنو سُلَيْم (١٠٠٠) وكانت مقدمة الرتل ، ثم أغلبية المهاجرين وفتيان العرب (٥٠٠) بقيادة الزبير بن العَوّام ، ثم بنو غِفَار (٣٠٠) ثم أسْلَم (٤٠٠) ثم بنو كعب ، بطن من خُزاعة (٥٠٠) ثم مُزَيْنة (١٠٠٠) ثم جُهَيْنة (٨٠٠) ثم كنانة (بنو ليث ، وضَمرة ، وسعد بن بكر) (٤٥٠) ثم أشْجَع (٣٠٠) ثم قُضاعة (تميم ، وبنو فزارة . وسعد بن هذيم) (مجهولة العدد) ثم الكتيبة الخضراء وهم الأنصار (٤٠٠٠) بقيادة سعد بن عبادة . وفيهم المهاجرون الذين هم في الساقة يحفّون برسول الله ﷺ[٢١]) (وكان للوازع عمر بن الخطاب رَجُلٌ بصوت عالٍ وهو يرتب القطعات في أماكن سيرها ويردعها صارخاً : رويداً يلحقُ أوّلُكم آخرَكم[٢٢]) يريد المحافظة على الترتيب وعدم انقطاع الرتل أو تداخله . (وكان الرسول ﷺ قد أعطى رايته سَعْدَ إبن عبادة وهو امام الكتيبة الخضراء . فلما مَرّ براية النبي ﷺ من خطم الجبل وشاهد أبا سفيان نادى : يا أبا سفيان اليوم يوم المَلْحَمة ! اليوم تُستَحلّ الحُرمة ! اليوم أذلّ الله قريشاً[٢٣]) . فارتعب ابو سفيان من هذه المقولة وارتهب وانتظر رؤية الرسول ﷺ عن كثب ليخبره بما يمكن أن تصير اليه الحال اذا ما نَفّذَ سعد تهديده الفعال المُفعَم بصِدْقِ الانفعال .

الارتال والمحاور :

اجتمع الفيلق الاسلامي كرّة أخرى بعد العرض بذي طوىً (منطقة افتتاح وانطلاق) فالجند يهزون السلاح والخيل تَتَفَحّجُ (تسرع) والوازع يردع ، ورسولُ الله ﷺ يتوسط جند الله يدعو بالفلاح ويرفع من المعنويات الى الأوج ويوصي القادة ويوجههم والقادة يتفهمون آلية العمل . ثم أعاد الترتيب الأساسي للفيلق ونُظِمَهُ من أجل الدخول الى المعركة فقسم القوات المكلّفة بالتعرض على اربعة ارتال تندفع عبر اربعة محاور . (انظر المخطط رقم ٢) وحدد لكل رتل محوره بحسب استيعابه وخصوصية الرتل ، اراجلٌ ام راكبٌ ، وحدّد الاهداف وعين مواقعها وكانت المحاور تعقب سفوح المرتفعات والطيّات الارضية وبطون الاودية منصّبةً الى مكة المكرمة .

كان الرتل الاول (القلب)

يتألف من كتيبة من المهاجرين الرَّجّالة الحُسّر (المشاة من غير دروع واقية ولا خوذ) بقيادة ابي عبيدة الجراح يتقدم ويدخل مكة عبر أذاخر من جهة الشمال الغربي على امتداد الطريق العامة (بطن الوادي) المنحدرة من اعلى مكة . بمحاذاة جبل هند والمؤدية الى مركز البيوت ، وكان الرسول ﷺ في ساقة هذا الرتل وجند الله تندفع بين يديه .

والرتل الثاني (المُجَنِّبة اليُمْنَى)

بقيادة خالد بن الوليد ومعه من القبائل أسلَمُ وسُلَيْم وغِفار وجُهينة وقُضاعة وأخريات ، يتقدم ويدخل من الجهة الجنوبية الغربية الى (أسفل مكة) ثم يُشرِّق صُعُداً ليستدير عبر اللّيط الى الخَنْدَمة بخيالته السريعة الحركة ليفرز رايته عند أدنى البيوت .

والرتل الثالث (المُجَنِّبة اليُسرى)

السريعة الحركة ايضاً (بقيادة الزبير بن العوام يتقدم من الجهة الشمالية الشرقية ليركز رايته عند الحجون (المنعطف الشمالي) قرب المقبرة (مسجد الراية) بعدئذٍ[٢٤] .

الرتل الرابع (القوة الضاربة)

رتل الانصار (بقيادة سعد بن عبادة ، يتقدم ويدخل مكة من الجنوب الغربي من ثنية كُدىً (الحجون الجنوبي) ويفرز رايته هناك[٢٥] وصَدَرَ الأمر النبوي الى قادة الارتال بتجنب القتال ما ساعدت الحال مستثنياً أفراداً (أباح دماءهم لم يتجاوز عددهم العشرة لشدة خصومتهم لدين الله ولرسوله وتحريضهم الناس على أثارة الفتن[٢٦])

إن حرص الرسول ﷺ على حقن الدماء جاء عن سجية فطرية لدى رؤوف وحفاظاً على صلة الرحم ووشيجة القربى ورابطة المعايشة السالفة وميزة الاحتواء ، احتواء المعاندين والمكابرين بالرحمة والعطف ولين الجانب وحسن المعاملة والتجاوز عن السلبيات ، ومع هذا فقد أظهر القوة والجيش اللّجب تثبيطاً لعزائم المناوئين ولمن قد تُسَوّل له نفسه التصدي لجنود الله التي لا قِبَل لهم بها ولا طاقة . وهذا ما يُدعى في الفكر العسكري المعاصر بالردع السوقي بالتهديد باستخدام القوة دون استخدامها وقد اضفى الرسول ﷺ على هذا فضيلة لين الجانب والسماحة والنّدى . إنّ من صميم حبّ المعرفة والاقبال عليها التطلع الى تقصي اسباب هذا التقسيم الرباعي للارتال هذه وتبني

الاحاطة الواسعة ، بل التطويق . . وربما يصح القول توطئة للاجابة واستناداً الى النهج الحاضر ، ان هذا التقسيم يسمح بالقيام بهجمات متعامدة على منطقة حيوية لاجبار العدو على الانفتاح الواسع وتوزيع قواته على اربعة اتجاهات دون تركيزها على محور واحد . كما أنه لو قُدّر للعدو صَدُّ أحد الارتال أو أكثر فان بقية الارتال ستتابع التقدم وتصل الى اهدافها المرسومة لها فتحقق النجاح وتحرز الظفر . وفضلاً عن هذا فإن التطويق يضيق الخناق على العدو ويحصره في منطقة ضيقة مما يجبره على الإستسلام دون الانسحاب والقتال في منطقة اخرى اكثر صلاحية له ، واذا ما تمكن من الهرب فسيهرب متسللاً وحداناً وجماعات . كما أن التطويق بالخيالة الشريعة الحركة البعيدة المحور سيُدخلها المنطقة المقصودة في آن واحدٍ أو في أوقات متقاربة مع بقية الارتال عند حساب السرعة والمسافة بدقة ، لان المحور الواحد أو المحورين لا يساعدان على استيعاب عشرة آلاف مقاتل يُطلَبُ منهم القيام بعمل جماعي موحّد في آن واحد لتحقيق غاية مشتركة . وأخيراً فان الإرهاب المعنوي والقلق النفسي والخوف من المجهول والإحباط الفكري ، كلّ اولئك انالازموا الغدُوّ المُباغِث بهذه الغزوة الحجون (الحركة الواسعة النطاق) ستفقده توازنه وتُخِلّ بترتيباته لان المباغتة تشلُّ اكبر العقول وَعْياً فلا يتمكن من سلامة التفكير ولا من رصانة التدبير ، ولا حتى تقدير اهمية المحاور وأسبقيات المعالجة فيقع في حيرة محبطة .

قريش وحلفاؤها :

مما أسعدنا به المصادر أنّ قريشاً تَمَكَّنَتْ يوم الاحزاب (غزوة الخندق) من جمع العديد من القبائل العربية كغَطفان وفَزَارة وسُلَيم وبني مُرّة وأشجَع وغيرها لمعاونتها في حرب الرسول ﷺ ودينه الجديد عند مشارف المدينة المنورة أي على بعد أربع مئة كيل عن مستقر قريش ، فهي إذن ـ على الرغم من دخول غالبية تلك القبائل في الإسلام ـ لا تعدم إمكان جمع وتاليب القبائل المجاورة لمكه والحليفة والمنتفعة للتعاون معها حرصاً على المصالح المشتركة .

ان قول الرسول ﷺ : « الحرب خدعة » وتواصله في خداع قريش عن وقت الحركة واتجاهها وغايتها ، ثم بركة دعائه من الله ان يأخذ على قريش أبصارهم فلا يرونه الا بغتة ولا يسمعون به الا فجأة ، أوقع قريشاً في مزالق التفريط بالامن وتَدني الهمم وخمول الاحساس وتبلد الشعور ونكوص الإرادة (فلم تتمكن من جمع سوى ناس من بني بكر وبني الحارث بن عبد مناف وناس من هذيل أستَنْصَرَتْ بهم[٥٧]) فضلاً عن اوباش من الاحابيش والارقاء تجمعوا في الخندمة ، وهو جبل جنوب شرقي مكة وعلى رأسهم صفوان بن أمية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عَمْرو ، يحثونهم ويثيرون في نفوسهم حميّة الجاهلية .

إنطلاق الارتال الى اهدافها :

سبق البيان عن امتعاض ابي سفيان من مقولة سعد بن عبادة : « اليوم يوم الملحمة ، ... » فارتأى إخبار الرسول ﷺ على جناح السرعة بنيّة سعد المُبَيّتة للحدّ من غلواء صولته المُرتقبة ، وكانت الارتال منطلقة في محاورها الى اهدافها عندما (حاذى ابو سفيان رسول الله ﷺ وناداه مستجيراً : يا رسول الله ، أمَرْتَ بقَتل قومك ؟ زعم سعد ومعيّته حين مرّ بنا واسمعنا أن اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ، اليوم أذلّ الله قريشاً ! . وإني انشدك الله في قومك فانت أبرُّ الناس وأرحم الناس وأوصل الناس . وقال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان : يا رسول الله ما نامنُ سعداً أن يكون منه في قريش صولة . فقال رسول الله ﷺ : « اليوم يوم المرحَمَة ، اليوم أعزُّ الله قريشاً » . وبعث بعمامته مع علي بن ابي طالب أمارةً الى سعد يخبره أن يسلّم اللواء الى ابنه قيس[٥٨]) وبهذا يبقى اللواء مع الانصار فالوالد والولد سواء في الشرف والمجد . وكان سعد قد وصل الحجون عند جبل قُعَيْقِعان (المنعطف الجنوبي / الثنية) وركز اللواء فيه ، ثم تسلمه قيس وأندفع الى أمام حتى ركز اللواء عند الركن .

ويجدر بنا التماس العذر لمقولة سعد الانفعالية هذه لانها لم تات من فراغ . فبالرجوع القهقرى مع كتّاب السيرة الى أمر قد جرى بعد اكتمال بيعة العقبة الثانية ـ قبل ثماني سنوات من فتح مكة ـ نرى أن الرسول ﷺ عَيّنَ إثني عشر نقيباً مدنياً لنشر الدعوة الاسلامية هنالك ، ومنهم سعد بن عبادة . وما ان علمتْ قريش بالأمر حتى خرجت في طلبهم قبل شدّهم الرحال من (مِنىً) الى (المدينة) عائدين ، فاقتلتوا منها (إلا سعداً فادركوه باذاخر فاخذوه وربطوا يديه الى عنقه بنِسْع رَحْلِهِ (سير عريض) ثم أقبلوا به حتى اذا ادخلوه مكة يضربونه ويجذبون بشعره الكُثّ[٥٩]) وهكذا يظهر للمراقب الصحايد أن عالقة الماضي أثارت بارقة المواضي لدى سعد ومعيته فقال ما لم يفعل ووصل الى الحجون وسيفه البتّار مكنون التزاماً بامر الرسول ﷺ . لذا ستدع الرتل الرابع (القوة الضاربة) التي لم تضرب ، وقد اضطرنا الحدث السابق الى تقديم الكلام عليه ، ولنعد الى الرتل الاول (القلب) المُنصَبّ من أذاخر الى الهدف فقد نَفّذ واجبه ودخل مكة حسب الخطة المرسومة مع بقية الارتال لعشر ليالٍ بقِيَتْ من

رمضان سنة ثمان هجرية الموافقة لليوم الحادي والعشرين من كانون الثاني سنة ثلاثين وست مئة ميلادية ، واستقر على مشارف السفح الامامي لجبل هند ضارباً قبة (مقر قيادة) للرسول الفاتح ﷺ يشرف منها على سير أعمال بقية الأرتال .

وكذلك أنجز الرتل الثالث (المُجَنِّبة اليسرى) واجبه وركز رايته أعلى مكة في ثنيّة المَعْلَى أو مقبرة المعلاة (قرب مسجد الراية لاحقاً) . لم تُلاقِ الارتال الثلاثة الانفة الذكر أي مقاومة ولم تُسفك دماً . أما الرتل الثاني (المُجَنِّبة اليمنى) (بقيادة خالد ابن الوليد فقد أصطدمت مقدمته عند الخَنْدَمة بجمع قريش وأوباشها وفيهم صفوان بن أميّة وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو . وحاول خالد دخول مكة فمنعوه وشهروا السلاح على جند الله ورموهم بالنبل وناوشوهم شيئاً من قتال وهم يقسمون ألا يدخلها محمد وجنده عنوة أبداً[١٠]) (فاضطرَّ خالد الى قتالهم وبرقت السيوف والأسنّة وانطلقت الرماح وقاتلوهم من الخَنْدَمة حتى الخزوزة (سوق بمكة)[١١])

فقتلوا من المشركين أربعة وعشرين من قريش ، واربعة من هذيل ، وحاقت الهزيمة بالباقين متفرقين ذات الشمال وذات اليمين أنفاراً وعِزين ، قد تمزّق جمعهم شرَّ مُمزق ، فمنهم من تسلق المرتفعات وفيها انزوى وتلرق ، ومنهم من توارى في الازقة هرباً من المأزق ، واتبعهم المسلمون والكُلُّ - الطرفان - يسمع أبا سفيان وحكيم ابن حزام يصيحان : (يا معشر قريش ! غَلَامَ تقتلون انفسكم ؟ هذا محمد قد جاءكم بما لا طاقة لكم به[١٢]) (من دخل دار أبي سفيان (وهي باعلى مكة) فهو آمن ، ومن دخل دار حكيم بن حزام (وهي بأسفل مكة) فهو أمن ، ومن كف يَدَه ووضع السلاح ودخل داره وأغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن ، فعاد المتفرقون يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها بعد طرحهم الاسلحة في الطُرقات فياخذها المسلمون[١٣])

(ومن شعر عمر بن الخطاب يذكر زَلَّتي الخيالة غداة فتح مكة المكرمة قوله[١٤] .

ألَـم تَـرَ أنَّ الله أظـهَـرَ دينَـهُ
عـلـى كُـلِّ دِيـنٍ قَبْـلَ ذلـك خـالـد
وأمكنَـهُ بِـن أهـل مَكَّـة بَـعْـدمـا
تَـذاغـوا الـى امـرٍ مِنَ الغَيِّ فـاسِـد
غَـداةَ أجَـالَ الخَيلَ في غَـرَضَـاتِهـا
شُـوَيْـمَـةَ بيـن الـزُبَيـرِ وخـالـد
فـامسـى رَسـولُ الله قـد عَـزَّ نَصـرُهُ
وأمسـى عِـداهُ مِـنْ قَتِـيلٍ وشَـارِدِ

ولمّا ظهر رسول الله ﷺ على ثنية أذاخر نظر الى بارقة السيوف فقال : ما هذه البارقة ؟ ألم أنْهَ عن القتال ؟ . قيل : يا رسول الله قوتل خالد بن الوليد ولو لَمْ يُقاتَلْ ما قاتَلَ ! فقال رسول الله ﷺ : قُضي الله خيراً[١٥]) وقُتل مِنْ خيالة المسلمين فارسان عندما سلكا طريقاً غير معهودة ، وهما كُرزُ بن جابر ، وخُنَيس بن خالد بن ربيعة كما قتل في المناوشة سَلَمة بن الميلاء الجُهني[١٦]) وثار نقاش حول « هل فتحت مكة عَنوةً أم صلحاً ؟ لمكان الامان المُعْطَىٰ لاهلها ! » ، (فذهب جمهور أهل العلم الى أنها فُتحت عَنوةً ولهم أدلتُهم ، وذهب قلة آخرون الى أنها فُتحت صُلحاً ولهم أدلتُهم أيضاً[١٧]) ولا مجال هنا للإفاضة في الترجيح . (وكان فتحها يوم الاثنين على الارجح وقيل الجمعة[١٨]) .

السماحة البالغة :

ممّا قاله رسول الله ﷺ يوم دخل مكة المكرمة ووقف على باب الكعبة : « لا إله إلّا الله وَحْدَهُ ، صَدَقَ وَعْدَه ، ونَصَرَ عَبْدَه ، وهَزَمَ الاحزابَ وَحْدَه ...) يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمَها بالاباء .... ، الناس لآدم وآدم من تراب ، ثم تلا آية ● يا أيها الناس إنّا خَلَقْناكم مِنْ ذَكَر وأنثى وجَعَلْناكُمْ شُعوباً وقَبائل لِتعارَفوا إنَّ أكرمَكُمْ عِنْدَ الله أتقاكُم .... ●[١٩]

ثم قال عليه الصلاة والسلام : ماتُرونَ إني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم .

قال : فانني أقول لكم كما قال أخي يوسف ● لا تَثْريبَ عَلَيكُم اليَوْمَ ، يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُو أرْحَمُ الرّاحِمينَ ●[٢٠] .... ثم قال ﷺ : إذْهَبُوا فأنْتُم الطُّلَقاءُ ![٢١] . ثم أستلم الركن بمِحجَنِهِ وكَبَّرَ المسلمون لتكبيره ، وخَطَمَ ومن معه من المسلمين ، الاصنامَ وتلا آية ● جَاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطلُ إنَّ الباطلَ كان زَهُوقاً[٢٢] ● وهكذا زِدْه رَبِّه ● انَّ الّذي فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآنَ لَرَادُّكَ إلى مَعَادٍ ....[٢٣] ●

بعدئذ أقام رسول الله ﷺ بمكة قرابة خمسة عشر يوماً لينتقل بعدها الى حيث تحول مركز ثقل المشركين الى قبيلتي هوازن وثقيف اللتين سارعتا لملء الفراغ وقيادة المشركين لحرب المسلمين فكانت غزوة حنين والطائف التي أستتمر فيها الفوز .

العبر ممّا غبر :

هذا عنوان فرعي تراثي ، يحظى بمضمونه قارىء الكتب العسكرية المعاصرة بصيغة الدروس ، او الدروس المستنبطة ، او المستحصلة ، او الدروس المستفادة . وهي العبر التي تظهر من فعاليات القوات المسلحة للطرفين ، جنداً وقادةً ، عدّةً وسلاحاً ،

فناً وتنظيماً ، فكراً وتطبيقاً ، مبادىء وابداعات ، واشياء اخرى ، وتكون هذه العبر حصيلة مستساغة للإفادة منها حاضراً ومستقبلاً بتدبُّر معطياتها وتبني فوائدها وتطويرها ونبذ محاذيرها . والعبر يوم الفتح المبين هي :

توخي الهدف وادامته .

غالباً ما يكون لكل حركة حربية هدف أسنى (مقصد بعيد) ودون الوصول اليه اهداف دنيا مرحلية . وربما اجتمعت هذه الاهداف او بعضها في وقت واحد . وعليه يلزم في كل الحالات وضع الهدف الأسنى باسبقية عالية تحت المراقبة المكثفة المتواصلة من اجل القدرة على اتخاذ جميع الإجراءات الكفيلة بمعالجة المتغيرات وما لم يؤثر بخلل او يكن في حسبان .

ومن هنا كانت قريش ، مكاناً وامكانات ، هي الهدف الدنيوي القريب المتوخى من اجل التوصل الى الهدف الديني الأسنى . وهذه الكيونة فرضتها أهمية قريش الدينية الوثنية المتأتية عن وجود الكعبة ذات الاصنام المعظمة ومباءة الحجيج كل عام ، ومحط رجال التجارة واسواق العرب ، ومركز العمليات الاقتصادية الجنوبية والشمالية (رحلة الشتاء والصيف) ، فضلاً عن ملاءمة الأرض للتقدم اليها ، وأن طبيعة البلد المكيّ معروفة للجميع لكثرة التردد عليها ، وتسهل المناورة فيها لتعدد المداخل اليها . وقبل هذا كله وفي طليعته تحقيق الهدف الديني الأسنى وهو السيطرة على البيت الحرام . قال تعالى ● إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ للَّذي بِبَكَّةَ مُبارَكاً وهُدًى للعالمين[٧٥] ● وقال تعالى ● وإذْ جَعَلْنَا البَيْتَ مَثَابَةً وأمْناً للنَّاسِ[٧٦] ● ومن بعد السيطرة التطهير الشامل وإزالة آثار الباطل وإزهاقه وإعلان مبادىء الحق والعمل بها الى قيام الساعة ، وهذا ما أوصى به الله جل جلاله رسوله الكريم بقوله ● وَقُل جَاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ كانَ زَهُوقاً[٧٧] ●

التعرُّض / الغزو .

لنكون على بَيِّنة من مصطلح التعرض ، وليتسنى لنا ربط المعاصرة بالتراث وتمحيص الاصل القديم للتعرض نستانس بقوله تعالى ● . قال رَجُلان مِنَ الذين يخافون أنْعَمَ الله عليهما أدخُلُوا عَلَيهِمُ البَابَ ، فإذا دَخَلْتُمُوه فإنَّكُمْ غَالبونَ ....[٧٨] ● وقوله تعالى ● يا أيها الذين آمَنُوا قَاتِلوا الذين يلونكُمْ منَ الكُفارِ ولْيَجِدُوا فيكم غِلظَةً ....[٧٩] ● وقوله جل جلاله ....إذا ضَرَبوا في الإرضِ أو كانوا غُزًى ...[٨٠] ● وقال رسول الله ﷺ يوجِّه جنوده الى الغزو « اغْزُوا بِاسم الله وفي سبيل الله . وقاتلوا من كَفَر . اغْزُوا ولا تَغْدِروا ...[٨١] ●

إن معنى « ادخُلوا عليهم الباب » ، هاجموهم وتُفرضُوا لهم في عقر دارهم . وانَّ كَلمة الغُزَى جمع مفردة « الغازي » . وكلمةُ « الغزو » تعني « لغوياً » (المسير الى الأعداء وقتالهم في ديارهم[٨١]) وتعني إسلامياً الخروج لمقاتلة العدو مقاتلة عادلة ضمن أساسيات شريعة الخُلُق وأدبيات مكارم الأخلاق . ان المصطلح المعاصر للتعرض لا يبتعد عن هذا المفهوم اللغوي كثيراً ولا عن المفهوم الاسلامي إنْ لم يكن هناك اعتساف أو انتهاك حقوق . وقالوا فيه (الهجوم خير وسيلة للدفاع) . إ نَّ التعرض أو الغزو يمكن أن يؤدي النتيجة المبتغاة بشيء من المجازفة والمخاطرة المحسوبة .

لقد تحول المسلمون من الدفاع الى التعرض او الغزو بقرار الرسول ﷺ بعد تَفَرق الاحزاب يوم الأحزاب (غزوة الخندق) إذ قال « الآن نغزوهم ولا يغزونا ، نحن نسير اليهم[٨٢] » . وبدأ الاستعداد القتالي وتهيئة الامة المقاتلة للجهاد التعرضي ، وتعزَّز القرار علمياً بالتعرض لخَيْبَر ، ثم وعد الرسول ﷺ عمرو بن سالم بالإنتصار لخزاعة بقوله « نصرت يا عمرو بن سالم ... ولا نُصِرْتُ إنْ لَمْ أنصُر بني كعب » ثم استنفر القبائل من شتى الديار وسار بهم وبالمهاجرين والأنصار لتنفيذ ما اتُّخِذَ من قرار .

التحشد الملائم :

يُرادُ به حَشْدُ قَدْرٍ ملائم من الجهد المادي والمعنوي حصيلة العَدَد والعُدة (السلاح والكراع والرجال) مع مراعاة الاقتصاد بالموارد المادية وزجِّها في الزمان والمكان المناسبين لبلوغ غرض فائق أو غاية كبرى .إنَّ التفوق الساحق ، كَمّاً ونوعاً ، ليس مطلباً لان الحشد الملائم الصحيح قد يسمح لموارد قليلة بالتغلب على موارد كثيرة عند توجيه الحشد الى أسبقية عليا قبل التي دونها مع مشاغلة سائر الاسبقيات وتثبيتها . وللمبادأة شان كبير في صيغة التَّحشُّد وصفة الحَشْد ونوعه .

وايضاحاً لمعالم العبرة ومواضع القدرة نقول أنَّ الحشد الاسلامي كان ضخماً جداً لا يتناسب وحَتْميَّة الاقتصاد بالقوة وهذه نقطة أخلَّت بالتوازن المنشود ، إلّا أنَّ ما يبرِّرها ويُسوِّغ قبولها هو تأثير الضخامة في نفسية العدو بغية منال الظفر بلا قتال او التهديد بالقوة وليس استخدامها . كما أنَّ هذا الحشد لا يشكل معضلة ادارية وتموينية كبيرة لبساطة معيشته وقلة ميرته واكتفائه بالمتيسر من التمر واللبن والسويق والدقيق ، ونُخَرِ الجُزُرِ أحياناً لفطور وسحور . ويتَّقوت الحيوان بالصَّلْيان (خُبزة الإبل) وبغيره من عشب المكان . ويحفظون للخيل خُلاها في مخاليها (العَلُوفَة في العلائق) . اضف الى ذلك مُسوغاً آخر وهو أنَّ ضَخامة العدد يوفر الاحتياط الذي يعالج ما ليس في الحسبان

فيتَحَقَّقُ شيءٌ من المرونة يساعد على المناورة لتخفيف ضغطٍ معادٍ او تعزيز الدفاع عزوم او معالجة اكثر من موقف حارد في آن واحد عند الضرورة ، والاحتمال الوارد تَدَخُّل هوازن وثقيف لحرف الفيلق عن هدفه .

الإقتصاد بالقوة :

يعني توفير الجهد الاكبر للهدف الاصعب والعكس صحيح ايضاً . او اعادة توجيه القوى نحو الافضل . وغالباً ما يُعَدُّ عدم الخسارة فوزاً . وقد بَوَّبَا في فقرة التحشد الملائم تخلخل الموازنة بين الحشد الضخم والاقتصاد بالقوة ، ونررداها . ونضيف هنا علة اخرى جاءت عن حكمة الرسول ﷺ وسبق نظره وشمول خطّته العامة وفراسته فهو سيد المؤمنين ، والمؤمن ينظر بنور الله ، وقد علمنا أن فئات المدينة قد تكَهَّنوا باستعداد عدة اعداء منهم قريش ، وهوازن ، وثقيف ، ويوس . فهل أعَدَّ الرسول ﷺ هذا الفيلق الجرار تحسُّباً لتدخل هؤلاء الاعداء معاً او على التعاقب او التداخل في ماجَرَيات نهجه ؟ فان كان ذلك كذلك فلا ضعف ولا تخلخل موازنة ! وقد أثْبَتَتْ الاحداث تهيؤ هوازن وثقيف وحلفائهما للتصدي في أقرب فرصة مُتاحة وضَدَقَت العِلة الاخرى بانتقال الفيلق الإسلامي بعد فتح مكة لقتال هوازن وحلفائها .

الإحتواء :

المقصود به اجراءات قوامها السماحة وخفض الجناح وصدق الطوية للوصول الى نهج يوقظ الضمائر ويتغلغل مفهومه في النفوس ويدغدغ المشاعر الخَيِّرة لتستجيب الى داعي الإيمان المبشر باخوة البشر وحرية الانسان المستضعف ونقله من عبادة الاوثان والخضوع لطغيان الإنسان الى عبادة خالق الاكوان الرحيم الرحمن .

ومن أنماطه هنا : الدعوة الى الله على بصيرة ، والصلح الجميل عن حاطب بن ابي بلتعة وعَنِيّ هوازن ، والمنُّ عن الاسرى ، والتنازل عن بعض الحقوق الخاصة ، وتوفير الحبوب عند القحط المكي ، واستبدال الميرة بصرفها لقريش تعويضاً عن جلود مدبوغة كاسدة ، وإقالة سعد بن عبادة بابنه قيس تتميماً لِصِلَة الرَحِم وحدّاً من استِحلالِ الحُرَم . واخيراً منح الأمان لاهل مكة ثم إطلاقهم (انهبوا فانتم الطلقاء) دون التعرض لاموالهم ومقتنياتهم سوى نزع السلاح للإسراع في تحقيق حالة السلم المطلوبة مع الصفح الجميل .

المباغتة :

شعورٌ يُفاجأ به الانسان بما لم يكن يتوقع ، والمفاجأة تَنْفُضُ الفِكَرَ مما استودع . وتتحقق المباغتة باختراع ، أو ابتداع ، أو فعل واعٍ ، او قول يوسوس في الاسماع . وامثلتها على التوالي : اختراع سلاح جديد ، أو ابتداع أسلوب نادر أو ممارسة فعل بذكاء فريد لا يقدر العدو على مواجهته أو إحباطه كممارسة أنماط مساعدة من الكتمان والسرعة والتمويه والخداع والتضليل ، أو إشاعة قول يرفع من معنويات جند مبتدعه ويحط من معنويات خصمه . وقد يجتمع اكثر من فعل واحد في ميدان معركة واحدة ، فيولد ذلك كله تأثيراً في نفسية العدو واعتباراته ويحدث ارتباكاً في موقفه أو خللاً في تطبيق خُطَبِهِ لا يلائم مصلحته ولا يوائم نهجه فيتحول ميزان القُوى تحوُّلاً نمالاً من جانب الى اخر ، وتتَمَهَّد الطريق للنصر غير المكافىء للجهود المبذولة له ، وبتعبير آخر يصير النصر اقل كلفة . وليس شرطاً ألا يعلم العدو بالاعمال المُقَامَة ضده ، ولكن العبرة في أنه اذا علم بها في وقت متأخر يكون قد سُلِطَ في يده او تأخر في القيام بِرَدِّ فِعْلٍ مؤثر في مفرداتها ، وأحياناً يكون قد عجز عن تدبر أموره حيالها ، لان المباغتة (المفاجأة) تشل اكبر العقول وَعْياً . قال رسول الله ﷺ : « الحرب خَدْعَة »[٨٣] [بفتح الخاء] . ومن تأويلات المقولة أن تباغت العدو بفعلةٍ أو أكثر مرة واحدة في منازلة واحدة لان العدو لا يمكنه التخلص منها فإن تكررت الخدعة فقدت عنصر المفاجأة الكبير التأثير عند الصدمة الاولى فقط . وفي الامثال العربية « لا يُخْدَعُ العربي إلّا واحدة[٨٤] » . ومن معطيات المباغتة في غزوة الفتح المبين ما يأتي :-

أ . حجم القوة وسرعة تحشدها .

كانت المدة بين ترديد المنادي : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان في المدينة) ، وانطلاق الفيلق ذي العشرة آلاف مقاتل عصر العاشر من رمضان زهاء عشرة أيام او اكثر قليلاً . وهذه مدة قصيرة لا تتناسب وهذا الكَمّ الهائل من مختلف القبائل النازل من كل حَدَبٍ وصوب نحو المدينة ليتحشد واخوته في الجهاد المهاجرين والأنصار . هذه السرعة فوَّتَتْ على قريش تطاول الوقت للاستعداد والاستحضار للمواجهة . وهذا الحشد بعد ان سمعت به قريش لاحقاً ، زاد من ارتباكها وحَطَّ من معنوياتها الى نزلٍ أسفل .

ب . الكتمان .

هو الجناح الايمن للمباغتة ، وبكتمان السر يُنال الظفر .

واستعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان . وقد أمر الرسول ﷺ بمسك أنقاب المدينة لمنع تسرب أخبار الاستحضارات . ودَعَا ربَّه أن يأخذ الأخبار والعيون عن قريش حتى يبغتهافي بلادها . كما كَتم عن جند الله ، إلّا قِلّة مسؤولة ، غاية الغزوة ومقصدها ومكان الهدف الرئيس ولم يُظهرها حتى ظَهَرَ في مَرّ الظهران (منطقة التحشد الامامية) لقربها من العدو ، فان سمع العدو بذلك يكون قد فات الاوان لإتخاذ ردّ فعلٍ مناسب . يَدُلّنا على هذا قصيدة كعب ابن مالك التي أنشدها بين يدي رسول الله ﷺ في السُقيا . وسؤال آبن حابس أبا بكر في قُديد بعد عقد الالوية والرايات عن مقصد سيد السادات من هذه الغزوة فاجابه (حيث يشاء الله) .

جـ . المخادعة :

هي الجناح الأيسر للمباغتة . ومعناها (إظهار خلاف ما تُخفي مع ارادة المكروه للعدو من حيث لا يُعلَمُ[٨٨]) ويشاكلها التضليل والتمويه فيقال مَوّه عليه الخبر أخبره بخلاف ما سَال عنه . والتورية ارادة شيء وإظهار غيرهُ ومن هذا القبيل إرسال الرسول ﷺ ثلاث سرايا الى ثلاثة اصقاع خلاف جهة مكة ، هي سرية الخَبَط وسرية خَضِرة وسرية إضَم ، قبيل الإنطلاق الى مكة بنحو شهر واحد أو أنقُصَ منه قليلاً لتذهب الاخبار الى قريش مُمَوّهةً فتقعد مُتَوانية غافلة . ومن هذا القبيل أيضاً التوقيت الصائب ، ودليلنا عليه إجراء الحركة في شهر رمضان الذي تتقلص فيه الجهود عادة ، لما يلاقيه الصائمون من وطأة شدة العطش ومحدودية الطعام فلا يدور في خلد قريش أن ينشط المسلمون خلاله للقتال . أضف الى ذلك ممارسة المسير والتنقل نهاراً ، وهذا عمل غير متوقع في شهر رمضان . ويرجح صحة الدعوى عندنا هو أن المرحلة الاولى بدأت عَصراً وانتهت على مدى سبعة اميال (ثلاثة عشر كيلًا) عند صُلْصُلْ ، اي تعادل نصف مرحلة اعتيادية وذلك من اجل تنسيق ضبط المسير على الطريق : ثم المرحلة قبل الاخيرة وكانت من كُراع الغُمَيم الى مَرّ الظهران ومداها خمسة عشر ميلًا (ثمانية وعشرون كيلًا) وقد وصلوا اليها عندما خَيّم الظلام . وقياساً عليه يصح أن تكون قد جرت المراحل كلُّها نهاراً عبر طريق نادرة الطروق مع تحاشي الصخب والضوضاء وقرع الأجراس والمواء .

الأمن .

سياج جميع الترتيبات التي يراد بها استحصال الوقت والمكان اللازمين لحشد القوات والقيام بالمناورة . وبه تتم المحافظة على القوات ويساعد على تقليل إحتمال تاثير فعاليات العدو على المصالح الحيوية . والأمن يزيد من حرية عمل القادة ويعين على المباغتة بكسب المعلومات عن العدو بوساطة عناصر الاستخبارات ومنع العدو من الحصول على المعلومات بوساطة عناصر الحماية ومكافحة استخبارات العدو . لقد وفر الرسول ﷺ مقتضيات الامن بإحكام السيطرة على الانقاب وباخراج الطلائع في أثناء المسير وبحماية المأوي الليلية بالحرس الذي كان رئيسه عمر بن الخطاب في اكثر من مرحلة . فضلًا عن تدفق المعلومات عن قريش بواسطة (الرتل الخامس) قبيلة خزاعة ، والعباس بن عبد المطلب الذي ألْقَاهُ في الجحفة مهاجراً ، ولا نستبعد أن يكون لاهل المهاجرين الماكثين بمكة ، ومن أخفى إسلامه من المَكّيين شان كبير في تسريب المعلومات الى الرسول ﷺ . وقد بلغ الأمن اقصاه في قُديد عندما عقد الرسول القائد ﷺ الالوية والرايات فبات الفيلق الاسلامي في نطاق من حديد وبأس شديد .

المعنويات .

هي القوة الروحية لإيماض الوقدة الذهنية والتي تخوض صراع الإرادات قبل صراع القطعات وفي خضمه . ومن اسلحتها الثبات والشجاعة والإقدام عندما تزل الأقدام والثقة المطلوبة والأمل المتفائل والحماسة والولاء وروح الجماعة وقوة الارادة والصبر حتى النصر والتصميم على الظفر .

ان القيادة الحازمة الرشيدة والضبط والألفة واحترام الذات والايمان بعدالة القضية تساعد جميعها في بناء المعنويات وترصينها . وكذلك ألم الحرمان من الحق الطبيعي أو المكتسب وهدر الكرامة قد يؤديان الى اثارة المعنويات وتأجيجها بغية إعادة الحق الى نصابه . إنّ العامل الروحي والنفسي والاعتباري أوقع من العامل المادي خَشماً . وهذا مما ينهض بالقوة المادية لارفع من مستواها الطبيعي .

أن الفيلق الاسلامي بضخامته المعهودة ، وعقيدته الاسلامية الراسخة ، وقيادة رسوله الواثقة ، وحب جند الله لاسوتهم الحسنة نبيّ الله . وبالم المهاجرين المبعدين عن دارهم المقدسة وحرمانهم من الاتصال باهليهم ، وبما لقيه بعض المستضعفين من إيذاء شديد قبل الهجرة ، وبنكبة خزاعة بقتلاها عند أنصاب الحرم وفي الحرم نفسه ، وبُنعرة الثار التي لم تُخمد بَعْدُ . وبما في نفس سعد بن عبادة من لزوم محاسبة من اعتدى عليه سابقاً عند بيعة العقبة . وبارادة المسلمين قاطبة تطهير البيت من الاصنام ، وبالامل الذي في نفوسهم ثقة بوعد ربهم لهم بقوله ● ... لَتَدْخُلُنَّ المسجد الحرام إنْ شاء الله آمنين ... ● كل اولئك وغيره ، دون استقصاء ، أظهر لنا المعنويات الفائقة التي

تمتع بها جند الله الغالبون . وعلى النقيض والمعاكسة كانت الانهيارات النفسية والاعتبارية والمعنوية لقريش وحلفائها ، وتلك الانهيارات المتلاحقة منذ معركة الخندق وتفرق الأحزاب ، وصلح الحديبية وقيام الدولة الاسلامية ، وفتح خيبر ، وازدياد القبائل المُنضَمة الى المعسكر الاسلامي وانتشارالاسلام واتساع رقعته تباعاً يوماً بعد يوم ، وخيبة مسعى أبي سفيان لتمديد مدة صلح الحديبية ، والقحط الذي لَحِق بمكّة وأهلها ، ووصول عشرة الآف مقاتل الى مَرّ الظهران في الثلث الثاني من شهر رمضان وإرقادهم المزيد من النيران للتهويل والارهاب ، وعرض الفيلق في خطم الجبل لبيان حقيقة قدرته المتناهية امام ابي سفيان مسؤول قريش فيما يختص باعلان الحرب .

الوحدة الثلاثية .

هي وحدة العقيدة ووحدة القيادة ووحدة الغرض (الهدف)

وتبلورت وحدة العقيدة عند المسلمين قاطبة بالايمان بالله وحده ، وبملائكته وكُتُبه ، ورُسُله ، وباليوم الآخر ، وبالقضاء والقدر .

والإيمان ، شرعاً ، هو الاقرار باللسان ، والتصديق بالجَنان ، والعمل بالاركان عن يقين خالص واطمئنان . وإن ايمان جنود الرحمن وقياداتهم بربهم يجعلهم يقاتلون لتكون كلمة الله هي العليا ، وهذا يسهل جَنْيَ النصر واحراز الفتح .

وقد أوجبت وحدة العقيدة الموالاة (المَحبة والنُصرة) بين المؤمنين دون الاعداء . قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عَدُوي وعَدُوَّكُمْ أولياء تُلقُونَ إليهم بالمَوَدَّة ... ﴾ وأوجبت التكافؤ بالدماء . قال الرسول ﷺ : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يَدٌ على مَنْ سِواهم ، ويسعى بذِمتِّهم أدناهم ... »[٨١] اي أن المؤمنين متساوون في القصاص والديات ، وهم مجتمعون على اعدائهم ، لا يَسَعُهُم التَخاذل بل التعاون فيما بينهم واذا أعطى أحدٌ لجيش العدو أماناً جاز ذلك على جميع المسلمين وليس لهم أن يُخفروه (ينقضوه) . وقد اعطى سَيِّدهم رسولُ الله الأمان لقريش فالتزموا به . أما وحدة القيادة فتجلت بطاعتهم لله ورسوله ، وامتثالهم لأوامر ووصايا وتوجيهات سيد البشر الذي أحسن قيادتهم بزَكْبه[٨٢] وفراسته وهدايته وكونه الأسوة الحَسَنَة لهم ومشاركته إيّاهم في صفحات القتال والغزوات النقال ناهيك به من رسول كريم ، بالمؤمنين رؤوف رحيم .

امّا وحدة الغرض الذي هو إحقاق الحق وإزهاق الباطل لتكون كلمة الله هي العليا فقد تجلّت في التعاون والتكاتف والتضامن وتوجيه كل الطاقات والامكانات والفعاليات العقلية والمادية تجاه المقصد الأسنى .

الارض .

تتحكّم في دراسة الأرض مقولتان . الاولى : قَتْلُ أرضاً غالِبُها وقتلتْ أرض جاهلها . والثانية : سِرْ على المرتفعات تنتصر .

وقد تنقل الفيلق الاسلامي بدلالة عمر بن الخطاب السفير المُخضرم والخبير المُفلِّ في مجاهيل صحراوية معروفة لديه . ولمّا جاء وقت الانطلاق من ذي طُوَى الى الأهداف التعبوية للارتال الأربعة ، إتجه رتلان ، خَيّالةٌ ورَجّالةٌ ، مُنْصَبّان من مكان التفرق الى أعالي مكّة ، وكذلك فَعَلَ سعد بن عبادة قائد رتل الأنصار ، أي دخلوا من عَلٍ (من المرتفعات الاعلى الى الأوطا) . وقد انصبَّ خالد بن الوليد بخيّالته جذوباً ، فشرقاً ، ثم اعتلى جبل الخَنْدَمة لينحدر الى أدنى البيوت .

البساطة .

الافكار السليمة الحصيفة تَتَحوّل الى أوامر أو توجيهات دقيقة بعبارات واضحة جليّة لا تحتمل اللَبس ، وهذا يقلل من احتمال سوء الفهم الذي يقود الى الارتباك أو الخطأ في التنفيذ . ولا جزم أن رسول الله ﷺ أُوتي جَوامع الكَلم . ومن اوامره وتوجيهاته ووصاياه البسيطة الواضحة أقواله ﷺ : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فَلْيخضَرْ رمضان في المدينة . » ثم قال « أغزوا باسم الله وفي سبيل الله ، وقاتلوا من كفر بالله ، ولا تَغْدِروا ... » ثم قال لقادة الارتال ما معناه « تَجَنَّبوا القتال ما ساعَدَت الحَال » ـ او كما قال ـ وقال أيضاً « من دخل دار ابي سفيان فهو آمن ، ومن اغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن » . وكانت واسطة عقد الكلمات العصماء : « إنقَبوا فانتُم الطلقاء » .

قابلية الحركة وسرعتها .

تُعرَّف قابلية الحركة بانها إمكانية الحركة السريعة ، للقطعة العسكرية ، في منطقة معينة ، وبسيطرة حازمة ، مع أفضل استخدام لموارد القوة ، في مدة محدودة ، تحت ظروف مختلفة ، لتنفيذ واجب معين .

أما سرعة الحركة فتقع ضمن الناحية الطبيعية ، والواسطة المستخدمة لتقليل احتمال المقاومة ، وقد تشملها المعلومة التي تفيد بان المسافة لا تُقاس بالأكيال فحسب بل وبالوقت المصروف لقطعها . وانّ الخط المستقيم ، في العرف العسكري ، ليس غالباً أقصر مسافة بين نقطتين ، نقطة الانطلاق والهدف المنشود . إذ قد تكون المناورة بالالتفاف أو بالتطويق أو تخطي المقاومة

المعترضة على الطريق أسرع وأسلم تعبوياً وسؤقياً من نطح الهدف جبهوياً . ويتمُّ التغلُّب على المقاومة الرئيسة باستغلال عنصري الحركة والمباغتة . وتتوقف سرعة الحركة على حساب عامل الوقت والمسافة وطبيعة الأرض وقابلية التنقل !

فما مقدار تطبيقات الفيلق الإسلامي لهذه المستلزمات ؟ إن المعطيات المكتوبة تشير الى أن الفيلق الإسلامي كان سريعاً في اتخاذ القرار ، سريعاً في تحشده ، سريعاً في تنقله ، سريعاً في احتلال هدفه . إنّه تنقل ، باعتبار ضخامته ، خلال عشرة أيام من المدينة الى مكة بسيطرة الرسول ﷺ متمتعاً بلياقة بدنية فائقة لخفة تجهيزاته وكثرة تنقلات أفراده الاعتيادية ، ومُدجَّجاً بالأسلحة المعهودة كلّها من سيوف بتارة ورماح خطيّة وأقواس عربية ، وبعض الدروع الملبوسة والبَيْض (الخُوذ) الحمايوية وذلك في فصل الشتاء في كانون الثاني ، والجند صائمون والجهد شديد حتى وصلوا الى كَديد فأفطروا ليَتَقَوّوا على عدوهم عند المنازلة ببطن مكة لمّا تُخلَقُ الطُّرُقُ . وكانوا قد زادوا من سرعتهم بامتطاء الابل واعتقابها (ركوبها بالتعاقب والتناوب) في أثناء التنقل . والإبل قلّما تتطلّب الماء بالشتاء في الصحراء قبل عشرة أيام من آخر ارتواء وتقتات على المتيسر من الأعشاب المحلّية . اما الخيل المعقود في نواصيها الخير فَتُجْنَبُ وينفق عليها بسخاء وتُخدم خدمة ممتازة لتحتفظ بنشاطها حتى المنازلة الكبرى أو المحتكم الحيوي . وهنا زُجّتْ في المنطلق الأخير . مَرْحَلَة التطويق والصولة والإقتحام . كما جرت الاستفادة من طبيعة الأرض الصحراوية بالتنقل حرصاً على المباغتة عبر سبيل بريّت يعيا بها الدليل الجَرِيت ويندر سلوكها لغير المضطر والصعلوك . وأخيراً كان الفيلق الاسلامي سريعاً يوم إقتحام البلد الحرام .

استيعاب المحور .

الاستيعاب لغة هو السّعة . واستوعبَ المكانُ الجند أي وسعهم . وكما يقال استيعاب الجسر كذا سيارة ، واستيعاب مدرجة المطار كذا طيارة ، يقال استيعاب المحور كذا كتيبة ، إنّ استيعاب المحور (سِعَتُهُ) معلومة لازمة للمخطط العسكري عند وضع الخطة وتبقى نصب عينيه عند حساب الوقت والمسافة وقوات الطرفين والوسائل المُستخدمة وبقيّة العوامل المتأثرة بالسعة والمؤثرة فيها دفاعاً وهجوماً .

إنّ محوراً واحداً أو محورين متجهين من ذي طوى (منطقة الانطلاق) الى منطقة مكّة لا يستوعبان عشرة آلاف مقاتل ينجزون واجباً محدداً في نهار يوم واحد ، بصرف النظر عن موازنة العوامل ، فلا بد أن سيبقى كثير منهم خارج الواجب . وعليه يجب توزيعهم على المحاور الاربعة كُلّها ، توافقاً مع سائر متطلبات الواجب ، لتتكفّل الغزوة الحجون بالنصر الحاسم . إن هذا ما حدث فعلاً يوم الفتح المبين فقد تعامدت المحاور منجزة الغرض المنشود .

الإستثمار السوقي .

الإستثمار ارادة النّماء في الثمر او المال وما شابه ذلك . وفي الحرب توسيع شقة الهدف ، من أجل الأمن ، بعد احتلاله وملاحقة العدو حتى يتعزز النصر الإبتدائي . واستناداً الى مقدار حشد الغزوة الحجون وتفوقه غداً وعُدة ، والى ما علمنا من سبق نظر الرسول وفراسته في حسن تصوره لتدخل هوازن وحلفائها المتاخمين لقريش في ماجَريات الأحداث ، فقد تحققت الفراسة بما حدث فعلاً من تَرَأس هوازن وتقيف لتجمعات المشركين في منطقتهما وتحشيدهم لمهاجمة المسلمين كشبأ للعبادأة وتَيقُّناً من أن الضربة المسلمة القادمة موجهة اليهم لا محال .

فكان انتقال جند الله بعد ايام قلائل من فتح مكة الى جهة هوازن أمراً مفروغاً منه ، قبل أن يفيقوا من هول ما سمعوا عن انهيار قريش في سويعات وارتهابهم من أن الفيلق الاسلامي قادم اليهم لاستثمار النصر وتعزيزه سوقياً بعد حنين . قال تعالى ﴿ وأعِدُّوا لَهُم ما أستَطعتُم مِنْ قُوةٍ وَمِنْ رِباطِ الخَيْلِ تُرهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُم وآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعلَمُهُمْ ... ﴾[٨٨]

خاتمة الكلام .

أخرجَتْ نابتة (الدولة الاسلامية العالمية) ، ذاتُ النواة العربية شَطْأَها زسميّاً عندما وَقّعت قريش وثيقة صلح الحديبية في السنة السّادسة الهجرية . وظهرت للعيان فئتان متضاربتان ذاتا سيادة وقيادة ، المسلمون وحلفاؤهم ، وقريش وحلفاؤها .

في السنة الثامنة الهجرية شَنّت قبيلة بني بكر ، مُعانةً سِراً من قريش ، غارة شعواء فجائية على قبيلة خزاعة الآمنة حليفة المسلمين . إستَنصرت خزاعة المُبَيتةُ المعتدى عليها المسلمين فوعدها الرسول ﷺ نصراً . وندمت قريش على إعانتها بني بكر فاوفدت ابا سفيان حمامة سلام لمصلحتها الى المدينة فلم يفلح وعاد ادراجه خائباً .

باشر الرسول ﷺ بالإعداد لغزوة حجون تجاه قريش ختم على اسرارها وكتم جملة أخبارها ليباغت بها قريشاً في عقر دارها ، فحشد عشرة الاف مقاتل على مشارف المدينة ثم سار بهم عصر الاربعاء لعشر ليال خلون من رمضان صياماً مجتازين احدى عشرة مرحلة نهارية لم يفطروا إلا عند قُديد لاقترابهم من العدو

وليتقووا عليه . ثم ساروا ليُخيِّموا مساءً في مرّ الظهران ويشعلوا النيران إرهاباً لقريش وآخرين . قال تعالى ● وأعدُّوا لهم ما أستطعتُم من قوة .... ● . بعدها عرض الرسول ﷺ الفيلق الإسلامي في اليوم التالي عند خطم الجبل على مرأى ومسمع أبي سفيان الذي تلصَّص قبل يومين ليتجسَّس لقريش لكنّه أسلَم ماخوذاً بقوة المسلمين وبأسهم ورجع عارضاً على قريش أمان الله ورسوله . أما الرسول ﷺ فقسم الفيلق على أربعة أرتال في ذي طوى ودفعهم يوم الاثنين بمناورة تطويق مُحكَمة الى أهدافهم وقد أوعز الى القادة بتجنب القتال الا مضطرين . فاندفعوا واحتلوها مُطبِّقين أغلب مبادىء الحرب طواعيةً قبل ان يغطن اليها المنظرون باكثر من ألف سنة .

وعندما دخل الرسول ﷺ مكة اتَّجه الى الكعبة ووقف عند بابها مُوحِّداً الله شاكراً له صدق وعده بنصرة عبده . ثم صفح الصفح الجميل بقوله لقريش : إذهبوا فانتم الطُلقاء .

ثم استلم الركن وكبّر وتلا آية ● جَاءَ الحقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ●

وبها بلغ جهدي التمام وغاية المرام ، فإنْ هذا أحسن ما وصلت اليه من تمحيص الروايات فعسى أنْ يكون جلُّ البحث صواباً وان تَقلّ فيه مساحة الخطأ . والله أسأل أن يهيّىء لنا الخير ويكتب لنا السلامة في الرأي ، والســـلام .

المصادر والمراجع والتعليقات

١ ـ نظرة جديدة في سيرة رسول الله . كونستانس جورجيو . ترجمة محمد التونجي ط ١ بيروت ١٩٨٣ ص ٣٢٥ . السيرة النبوية لابن هشام مج ٢ ص ٦٣٩ . السير الكبير للشيباني . محقق . ط مصر ١٩٧١ ج ١ ص ٩٦ .

٢ ـ التوبة / ١٢٣

٣ ـ البقرة / ١٩٣

٤ ـ الأنفال / ٦١

٥ ـ الفتح / ٢٧

٦ ـ مغازي الواقدي . ط بيروت . تحقيق مارسدن جونس ج ٢ ص ٧٨٣ . السيرة النبوية لابن هشام بتحقيق مصطفى السقا واخرين . ط ٢ مصر ١٩٥٥ مج ٢ ص ٣٨٩ . تاريخ الطبري ط ٢ مصر ١٩٦٧ . محقق ج ٣ ص ٤٤ . الكامل في التاريخ لابن الاثير ط صادر بيروت ١٩٦٥ ج ٢ ص ٢٣٩ .

٧ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٨٥

٨ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٨٩ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٣٩٤ . عيون الاثر لابن سيد الناس ط ٢ بيروت ١٩٧٤ ج ٢ ص ١٩٥

٩ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٣٩٥ . تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٥ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٠ .

١٠ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٨٦

١١ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٥ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٢ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٤١ .

١٢ ـ المظاهر الحضرية للمدينة المنورة . د . خليل السامرائي ط ١ الموصل ١٩٨٤ ص ١٧ .

١٣ ـ سيف الله خالد بن الوليد . للجنرال أ . اكرم . مترجم ط ٤ دمشق ١٩٨٢ ص ١١٤ بتصرف .

١٤ ـ لسان العرب لابن منظور . مادة (حجن)

١٥ ـ معجم ما استعجم . عبد الله البكري . محقق ط بيروت . معجم البلدان . ياقوت الحموي ط بيروت ج ١ المقدمة الباب الثالث . الطريق الى المدائن . احمد عادل كمال ط ١ بيروت ١٩٧٢ الباب الخامس ص ١٤٣ .

١٦ ـ معجم ما إستعجم مج ٢ ج ٣ ص ٩٥٤ مادة المقيق .

١٧ ـ غزوة بدر الكبرى محمد احمد شميل ط ٣ بيروت ١٩٦٦ ص ١٧ . الكيل : مصطلح اطلقه المجمع العلمي العربي بدمشق على الكيلومتر . د . اكرم العمري السيرة النبوية الصحيحة ج ٢ ص ٣٧٨ .

١٨ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٤٤٤

١٩ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٣٩٧ . الطبري ، تاريخ ج ٣ ص ٤٧ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢ .

٢٠ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩٦ . السيرة الحلبية ط بيروت ج ٣ ص ٧٤ .

٢١ ـ السيرة النبوية لاحمد زيني دحلان ط بيروت . ذكر المؤلف لابن دحلان ج ٢ ص ٢٣٣ ان قريشاً نكثت عهد الحديبية قبل رجب سنة ٨ هـ . ثم عاد فذكر في ج ٢ ص ٢٣٩ ان قريشاً نكثت عهد الحديبية في شعبان سنة ٨ هـ . وبالرغم من هذا التناقض فان سرية الخبط كانت في الواجب حتى رمضان سنة ٨ هـ فيكون قد تحقق الفرض من التمويه .

٢٢ ـ عيون الاثر ج ٢ ص ١٥٨ . زاد المعاد لابن قيم الجوزية ط مصر ١٩٧٠ ج ٢ ص ١٧٦ .

٢٣ ـ مغازي الواقدي ج ١ ص ٦ . عيون الاثر ج ٢ ص ١٦١ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٣٥ .

٢٤ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩٧ . عيون الاثر ج ٢ ص ١٦٢ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٩٥ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٣٦

٢٥ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٧٩٨ . عيون الاثر ج ٢ ص ١٦٦ . تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٢ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٢

٢٦ ـ لعلّ الصحابة الثلاثة كلٌ ذهب في اتجاه وربما ذهبوا معاً فالروايات متباينة في ذكر ذلك انظر سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٤٥ .

٢٧ ـ سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٤٥

٢٨ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٢٩٩

٢٩ ـ الممتحنة / ١

٣٠ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٠

٣١ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٠

٣٢ ـ السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٦

٣٣ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٧
٣٤ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٧٧
٣٥ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٥
٣٦ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٤ . حياة محمد واشنجتن أرفنج . مترجم ط القاهرة ١٩٦٦ ص ٢٢٤ .
٣٧ ـ سنن ابي داود ج ٣ ص ٢٥ : وهذا إرهاص لما يعرف اليوم بحالة فرض الصمت اللاسلكي قبل المعركة .
٣٨ ـ المائدة / ٨٣ .
٣٩ ـ سيرة ابن دحلان ص ٢٤٤
٤٠ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٠٢ ، ٨٠٣ .
٤١ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٠١
٤٢ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨١٣
٤٣ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١٤ . زاد المعاد ج ٢ ص ١٨١
٤٤ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١٤
٤٥ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٢ . تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٢ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٤ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٧٨ سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥٠
٤٦ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٣ . السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٩ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥١
٤٧ ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٠
٤٨ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨١٦
٤٩ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٨١٨ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٠
٥٠ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٣ وهذا ارهاص لما يعرف اليوم بمنع التجوال
٥١ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٠ . ٨٢١ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨١ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥٧ .
٥٢ ـ السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨١ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٥٧
٥٣ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢١
٥٤ ـ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٧ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٣
٥٥ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٢
٥٦ ـ سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤٠٩
٥٧ ـ الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٧ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٦٠
٥٨ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٢
٥٩ ـ سيرة ابن هشام مج ١ ص ٤٤٩
٦٠ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٣ ، ٨٢٥ .
٦١ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٦ . سيرة ابن دحلان ج ٢ ص ٢٦٠
٦٢ ـ تاريخ الطبري ج ٣ ص ٤٥ . الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٢٤٦ . زاد المعاد ج ٢ ص ١٨٢
٦٣ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٦ . تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٥
٦٤ ـ زهر الآداب للحصري القيرواني ط ٤ بيروت ١٩٧٢ محقق ج ١ ص ٧٤
٦٥ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٢٦
٦٦ ـ المصدر نفسه ج ٢ ص ٨٢٨ . سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٠٧ . تاريخ الطبري ج ٣ ص ٥٨
٦٧ ـ زاد المعاد ج ٢ ص ١٩١
٦٨ ـ مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٧٣ . السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨٥ . سيرة ابن دحلان ص ٢٧٦
٦٩ ـ الحجرات / ١٣ .
٧٠ ـ يوسف / ٩٢
٧١ ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٨٣٥ . سيرة ابن هشام مج ٢ ص ٤١٢
٧٢ ـ الاسراء / ٨١ .
٧٣ ـ القصص / ٨٥ .
٧٤ ـ آل عمران / ٩٦ .
٧٥ ـ البقرة / ١٢٥ .
٧٦ ـ الاسراء / ٨١ .
٧٧ ـ المائدة / ٢٣ .
٧٨ ـ التوبة / ١٢٣
٧٩ ـ آل عمران / ١٥٦ .
٨٠ ـ سنن ابي داوود ط بيروت جهاد / ٢٦٠٣ .
٨١ ـ لسان العرب . مادة (غزا) . المعجم الوسيط مادة (غزا)
٨٢ ـ صحيح البخاري ط بيروت . مغازي / ٢٩ .
٨٣ ـ المصدر نفسه جهاد / ١٥٧ . صحيح مسلم جهاد / ١٨ ، ١٩ . مسند احمد بن حنبل ١ / ٨١ ، ٩٠ .
٨٤ ـ مجلة المورد العراقية مج ١٥ عدد ٢ لسنة ١٩٨٦ ص ٨١ نقلا عن المختار من كتاب الامثال لابي زيد الانصاري
٨٥ ـ لسان العرب مادة (خدع)
٨٦ ـ سنن النسائي . قسامة / ١٤
٨٧ ـ الركن : الظن الذي هو كاليقين
٨٨ ـ الانفال / ٦٠

*